

# اللعب بالنار



تأليف: أشرف اسدي  
ترجمة: محمود سلامة علاوي  
تيسير ومراجعة: محمد علاء الدين منصور

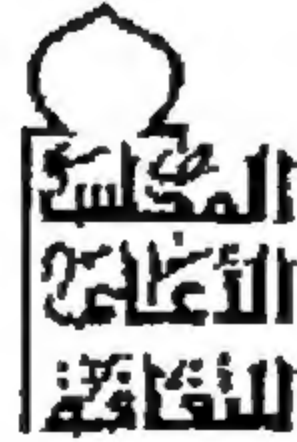


# اللعب بالنار

تأليف : أشرف أسدى

ترجمة : محمود سلامة علاوى

تصدير ومراجعة : محمد علاء الدين منصور



٢٠٠٢



## المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٣٢٤
- اللعب بالنار
- أشرف أسدي
- محمود سلامة علاوى - محمد علاء الدين منصور
- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ترجمة عن الفارسية لكتاب :

بازى با آتش

صادر عن

انتشارات مشيرى - تهران - إيران

چاپ أول ١٣٧٦ هـ . ش

---

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084 E. Mail : asfour @ onebox. com

---

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم المختلفة ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة .

## تصدير

« اللعب بالنار » رواية واقعية تحكى مأساة إنسانية عامة عانت منها – ولا تزال تعاني – الشعوب الشرقية ، وهى سيطرة الحس الطبقي والتمييز بين أناس يفترض أنهم يؤمنون بدين يدعو إلى المساواة والأخوة بلا نظر إلى الوضع الاجتماعى أو المعيشى للمعتقدين به ، غير أن هذه الرواية تكتسب المذاق الإيرانى الجميل بما فيه من سحر وخيال وأنغام وأحلام ، وتذكرنا بقصص السندباد ، وألف ليلة وليلة ، وعلاء الدين صاحب المصباح السحري ، التى انطلقت من داخل المنطقة الثقافية والأدبية الإيرانية قبل الإسلام وبعده ، ولا نزال نشعر بهذا المذاق الساحر الخيالى فى بعض أعمالنا الروائية والسينمائية المعاصرة . أما الكتاب فهو روائى شاب شاء حسه أن يبتعد بالقارئ عن تعقيدات المجتمع السياسية والثقافية ، والخطوب الجلية التى سادت إيران مع ثورتها الأخيرة وصاحبت الحرب المفروضة ، وأفضت إلى ذبوع روح الألم والسقم واليأس من الحاضر والمستقبل ، فتاقت الأنفس إلى التطلع إلى عهد جديد ينعم بالاستقرار والأمان وسلامة الوجدان وسمو الأحاسيس ، وإن كان فى ثوب التخيل وقالب الأحلام . وهذا الاتجاه

الجديد وهو الهروب من الواقع المر إلى عالم يضم الواقع والخيال معاً  
وإن لم يكن المؤلف مبتدعه لكنه فارس من فرسانه . والجميل أن تخرج  
ترجمة هذه الرواية بوجه مشرق وضاء يفيض أملاً ورقة على يد زميلي  
وصديقي الدكتور محمود سلامة علاوى ، المأمول أن يستمر فى دربه  
المحمود وهو تقديم الأدب الإيرانى المعاصر للمعنيين من قراء العربية ،  
ومن الله التوفيق .

## المراجع



## مقدمة

أيها القارئ الكريم ، بين يديك قصة عاطفية رومانسية من القصص الإيرانية الرقيقة ، كتبت هذه القصة الإنسانية في أسلوب بسيط بديع ، بعيد كل البعد عن التقعر في اللفظ .

كما كان المؤلف أشرف أسدى ، موفقاً في الحوار وسرد الأحداث بصورة تلقائية ، وكذلك في رسم شخصيات القصة . هذا الأسلوب الشيق الذى يجذب القارئ عند قراءته لأحداث القصة ، فيداوم على القراءة حتى يحيط بكل تفاصيلها ، لما فيها من بساطة ورومانسية جميلة وعاطفة وتوضحية ، عبر عنها المؤلف بقدرة فائقة من خلال أدوار شخوص هذا العمل الأدبي المتفرد .

كما نجح في تجسيد الصراع الطبقي ، بين الطبقة الثرية والطبقة الفقيرة ، ذلك الصراع الذى لا يخلو منه كثير من المجتمعات الشرقية .

وإليك أيها القارئ العزيز عدة سطور تجمل أحداق القصة : تدور أحداث هذه القصة فى مدينة ( شيراز ) الإيرانية ، وتحكى قصه حب عاشها أمير ، ابن الثرى سالارخان وبهار ابنه البستانى مراد ، وفى قصر سالارخان تتجسد قصه هذا العشق بين الشابين أمير هوشنج الذى تخرج فى كلية الحقوق ، والشابة الجميلة بهار التى حصلت على شهادة الدبلوم المتوسطة ، وقد نشأ هذا الحب منذ أن كان الحبيبان

طفلين صغيرين ، أى حينما جاء البستاني مراد وزجته وابنته الصغيرة بهار ليقيموا معا فى حجرة واحدة فى حديقة الثرى سالارخان والد أمير ، وكان شأن هذه القصة شأن قصص كل العاشقين أى مكابدة الفراق وعدم جنى ثمرة هذا الحب العفيف بسبب الصراعات الطبقيّة المعروفة .

إذ بمجرد أن عرف سالارخان والد أمير بزواج ابنه من بهار الفتاة الفقيرة ، رأى أن فى ذلك وصمة عار قد دنست ثوب عائلته الثرية فأراد أن يهره بأية وسيلة حتى وإن قتل ابنه أميرا .

ومن هنا يبدأ الصراع الطبقي ، وينقل كمال الحارس فى بيت سالارخان واقعة قتل الأب غير الحقيقة للابن إلى العروس التى لم يمر على زواجها من أمير سوى أشهر معدودة ، ويخيفها كمال من بطش سالارخان حتى تضطر أن تهرب من شيراز كلها إلى أصفهان .

وتعيش بهار لدى أسرة الحاج معين يزدى وامراته شيرين ، وتتجرب بهار تؤمين هما شهاب وشاهين ، وتطلب بهار ، من معين أن ينسب ولديها إليه وأن لا يبوح بهذا السر مهما حدث .

وتتفرغ هى إلى محاضراتها فى الجمعيات الخيرية وتتوسع فى هذا النشاط المعارض ، لتتحول خطبها الدينية الإرشادية إلى المعارضة السياسية للسلطة وتتعرض للسجن ، وتضطر الحكومة لأن تنفيها إلى قرية ( أحمدى ) ، إحدى القرى الإيرانية المستقرة فى أعماق الريف لتعلم التلاميذ الصغار القراءة والكتابة وتمارس نشاطها السابق فى هذه القرية الصغيرة ، وإن اختلف قليلا عن ذى قبل . ويكبر الحاج معين يزدى فى السن ويرفع الابنان شهاب وشاهين دعوى بالحجر على الأب وأمواله .

وبالصدفة المحضة يكون القاضى هو أمير هوشنج أى والد شهاب وشاهين ، ولكنه لا يعرف ذلك ، وفى هذه الجلسة يعلن محامى الحاج

معين عن تنازل موكله عن جميع أمواله لابنيه المذكورين مع الإبقاء على جزء ضئيل من ثروته ليعيش منه أيامه المعدودة .

ويترك الحاج معين كتيب ذكرياته للمحامى لكى يعطيه والد الشابين بعد نهاية الجلسة ، ويفعل المحامى ما أمره به الحاج معين ، وعندما قرأ القاضى أمير هذه الذكريات وتذكر كيف أن أسرته قد تأمرت عليه حتى لايتزوج بهار حبيبته يبكى بكاء مرأ أمام والدته العجوز جوهر تاج .

ويقوم القاضى أمير برحلة البحث عن زوجته بهار بعد أن استصدرلها قراراً بالعفو عنها . وبالفعل يعثر عليها وترفض بهار العودة لحياتها السابقة بعد أن حددت هدفها ، وهو مكافحة ظلم الطبقة الثرية وخلق جيل من الشباب لايعرف الخوف ، وجدت كل هذا فى أولئك التلاميذ الصغار الذين قامت بتعليمهم . ويستقيل القاضى أمير من وظيفته ليعوض زوجته بهار عن تلك الأيام القاسية ويؤسس لهذا الغرض مدرسة باسمها ، مدرسة ( بهار قشقابى ) . وتتوالى الأحداث الكثيرة والعديدة والتي أتركها لكى تتعرف عليها أيها القارئ بنفسك حتى لا أفسد عليك متعتها .

محمود علاوى



## كلمة الناشر

إن حياة كل إنسان قصة تحدث مرة واحدة فقط ، ولا تتكرر  
فى أى مكان أو مع أى شخص قط . وإن أحد الأسباب  
الرئيسية فى جدتها هو عدم التنبؤ بها مما يجعلها باعثة على  
الإثارة وغير قابلة للتكرار .

ومن ناحية أخرى ، فإن القاعدة السائدة فى الوجود هى  
القاعدة الثابتة التى لا تتغير وهى مرتبطة بأمر الله الذى يقوم  
عليه قانون العلة والمعلول ، ويمكن أن تتدخل فى تشكيل مصيره  
وفى تغيير مجرى الأحداث وذلك من خلال التعرف على القوانين  
العامة التى تحكم الحياة وتحكم علاقة الإنسان بالطبيعة  
والإنسان ، والإنسان بالإنسان بالمجتمع .

فإذا تمت هذه المعرفة للإنسان ، استطاع أن يطلع دوماً  
على الأحداث التاريخية ومسير الشعوب وسير الأبطال وأن  
يتخذ العبرة من أولئك ، كما أن كل عمل أدبى - وخاصة  
القصة علاوة على الجوانب الخاصة لها - يمكن أن يكون أيضاً  
ذا عبرة وعظة ، فتدلنا على حياة أفضل .

وبالتعرف على أفضل الوسائل فى مطالعة القصص يمكن  
أن نستفيد من أبسط تفسير لتجارب الحياة وسير الرجال  
والمجتمعات ، وقد دعا الله سبحانه عباده إلى الاطلاع الدائم  
فى آثار الوجود ، ثم لا نمتنع عن القراءة والقراءة الدائمة  
أيضاً ، فنأخذ العبرة من حياة الآخرين .

جيتى مشيرى

## اللعب بالنار

لقد تبدل نور العشق الخافت بشُعْل من النار ،  
شملتني من رأسي حتى أخمص قدمي ، حيثئذ  
أدرّكت أنك منحت الطهارة معني وتعلموا الصداقة  
منك ، وارتشفت الورود أريجها من أنفاس ربيعك ،  
واستمدت النجوم منك ضياءها في مدرسة العشق ،  
ولكن وأسفاه فقد حرقتنى شعلك الملتهبة بصعودك  
المفاجئ ، والآن أقسم لك بحرمة العشق أن نجدد  
العودة للوصال معاً .





## الفصل الأول

كان موعد جلسة المحكمة فى تمام الساعة العاشرة صباحاً ، بينما كانت ساعة الحائط تشير إلى الثامنة صباحاً ، وكان لا يزال من الوقت ساعتان على بداية جلسة المحكمة . وخرج « شهاب » من غرفة نومه شاحب الوجه يبدو على وجهه الأرق بسبب عدم نومه فى الليلة السابقة ، ومكث بالفراغ الذى يؤدى إلى غرفة الاستقبال ثم مرر يده على شعره المجعد ، واتجه يمينا حيث المنضدة الموجودة وسط كراسى غرفة الاستقبال ، وأخذ علبة السجائر الموضوعة فوقها ، وأخرج آخر سيجارة بها وأشعلها بولاعته ، وأخذ منها نفساً طويلاً ، ثم أخرج دخاناً كثيفاً من فمه ، وأخذ ينظر حوله لحظة ، واتجه إلى أحد المقاعد وألقى بنفسه فوقه وكأنه فقد القدرة على التوازن .

وكانت ( مريم ) تتابع تصرفات زوجها ، ومن شدة الغضب شدت المكواة بعنف من فوق أحد طرفى « البنطلون » الذى كانت تقوم بكيه وقالت فى نغمة دامة : هل هناك إنسان عاقل يدخن سيجارة وهو جائع فى هذا الوقت من الصباح ؟

فأجابها ( شهاب ) والذي كان مثل مخزن البارود و ينتظر أية لمسة ( لينفجر ) بضحكة ساخرة قائلاً : ومن ذلك العاقل الذى يأكل ثلاث وجبات إنه إنسان طماع وفى الوقت نفسه يجرجر والده المريض إلى المحكمة ، وفى منتهى الصفاقة يقول : ياسيدى الرئيس إن والدى مشلول ويفتقد القدرة العقلية ، وبناء على ذلك نطالب بالحجر عليه ، ومن شدة الغضب ضغطت ( مريم ) مقبض المكواة ، وحركت حاجبيها المشدودين إلى أعلى ، وأمسكت بعدة شعرات من شعرها الذى كان قد سقط على عينيها وقالت : لو لم يبالغ الرجل المسن ومنح هو نفسه وبإرادته أمواله لك لما حدثت هذه المشكلات .

– المشكلات ؟ أية مشكلة تقصدين ؟

السيارة الخاصة ، البيت الجميل ، الزوج المتعلم ذلك المسكين الذى لم يمنع عنا شيئاً طوال عمره ، ولكن لو أنك تقصدين المشاكل المالية والمتعلقات الأخرى من الميراث ، فإننى أبشرك بأنه لم يتبق سوى ساعتين من الوقت على أخذها ، وسوف تصبحين أنت وزوجة أخى الطماعة صاحبات الثروة التى جمعها ذلك المسكين بعد أن ضيع أيام عمره هباء .

وقد ملأ رنين صوت ( شهاب ) كل فراغ البيت ، وكأنه كان ينتظر لمدة طويلة مثل هذه اللحظات حتى يعبر عن جراح قلبه بهذه الكلمات . وعلى الرغم من أن أى نوع من الندم قد تأخر وقته

حتى أن آخر جلسة للمحكمة سوف تبدأ بعد ساعتين ، كما أن  
الرأى الحاسم قد صدر ، إذ إن عقد مثل هذه المحاكم سواء حققت  
الأمل المرغوب أو لم تحققه ، فإن هذا الأمر فى نظر الناس باعث  
على خجل شهاب وشقيقه ، وقد كان شهاب منذ البداية معترضاً  
على رفع دعوى ضد الأب ولكنه استسلم للتوقيع على رفع هذه  
الدعوى القضائية تحت الضغوط المستمرة لزوجته ، وقد اضطر  
شهاب وهو غير مقتنع أن يخبر (شاهين) للحضور فى المحكمة ،  
لأنه كان من الممكن ألا يخرج من تحت فراشه حتى الظهر .

وتناول سماعة التليفون بسرعة فى اللحظة التى ألقى فيها  
سيجارته بغضب بعد أن تناول أخرى ، وتدحرج شاهين فوق  
السريـر ، وأخذ ينظر للحظات إلى سقف الحجرة ، وأخذ يفكر فى  
الحلم الجميل أى الشراء الذى موعده الصبح ، المنزل الشيك  
والكبير فى شمال المدينة والسيارة المرسيدس آخر موديل والتى  
تنساب فوق شوارع طهران وشالوس .

وكم هو جميل طريق شالوس ، إذ إنه جبَل وقد احتضن  
طريقاً ذا طرفين ، ويقبَل الضباب الكثيف من بعيد يد الغابة الجبلية  
ويا لها من متعة أن يستريح المرء يومين بجوار البحر فى فندق  
ساحلى ثم يعود ، إنه لا يملك نفسه من شدة الفرح .

وقد أوقف السيارة فى الفناء المخصص للفندق ، ووضع يده  
على ذقنه وقد أجاب برأسه على تحية حارس الفندق ، وبدخوله  
الصالون ، تلاًلأت الأنوار المبهجة وأمام مدير الفندق ، ابتسم

قائلاً : إنه لفخر لكم ياسيد ( يزدى ) أن تنتظرونى ، وسرعان ما وصل عامل الفندق الذى يرتدى الملابس الزرقاء ، وقد رفع شمعداناً ثقيلاً فوق السلالم المغطاة بالموكيت فى الفندق . ونظراً لقصر قامته كان غطاء الملابس المكوية للسيد يزدى يلامس سلالم الفندق ، وذهب الخادم نحو نافذة الحجرة ، ولتلافى حالة الفوضى أزاح ستارة حريرية حمراء من على النافذة بشكل خاص ، فعمت الأنوار داخل الغرفة حيث بدا منظر الروض الأخضر المواجه لها ، وتثاءب شاهين وقال لنفسه ، إن الثراء عالم غريب ، ويفضل أن آخذ حماماً أولاً ، وبعد ذلك أوصى على الطعام ثم أمر قائلاً : ليحضروا طعامى إلى غرفتى ، فأنا النزيل الدائم فى هذا الفندق ، وينبغى عليهم أن يعرفوا عملهم مسبقاً بالنسبة لهذا النزيل الثرى ، وأخذ حماماً وهو يتغنى على وجه السرعة ، بينما كانت قطرات المياه تتساقط من رأسه ووجهه فوق المنشفة ، وتناول سماعة التليفون بطريقة خاصة ، وأخذ رقماً وطلب الغذاء فى كلمات رقيقة وديعة ، وبعد ربع ساعة كانت هناك عدة طرقات على الباب ، ودخل الحمام يحمل طاولة الطعام ، فكان عليها الكباب السلطاني إلى جوار الأرز فى أجمل أطباق صينية ، وكان فوق مائدة الطعام أيضاً مزهرية صغيرة بها ورود متنوعة ، وألقى الخادم السلام وقال :

أتأمرنى بشيء ياسيدى ؟

إذ إن الورقة ذات الخمسين تومانًا قد أدهشت الخادم ، إذ إنه قد ذهل من حصوله على الإنعام ، وهكذا أخذ يتراجع إلى الخلف حتى اصطدمت مؤخرة رأسه بالجدار ، ولكنه خرج بسرعة وأغلق الباب خلفه ، ومن حسن حظ الطفل « الخادم » أنه لم ير الضحكة الساخرة لشاهين .

وبمجرد خروج الخادم ، تنفس « شاهين » نفسًا عميقًا ، وقال لنفسه : يُفضل أن أتناول الطعام قبل أن يبرد . وبعد ذلك ، حين أغلق عينيه ، وتنفس الصعداء ، وأطاح صوت جرس التليفون بحلمه الجميل ، تناول سماعة التليفون بسرعة وأخذ ينظر حوله في حيرة ، وأجاب على (شهاب) وقال : نعم أنا جاهز .. يا أخى .. جاهز .

ودخل القاضى هدايت ذو القامة المشوقة والشعر الأبيض من الجهة اليمنى ، وخلع الروب الأسمر الجميل الذى يبرز قامته وعلقه فى الشماعة الخشبية ، وألقى نظرة على مكتب عمله ، وشغل بالمستندات التى كان قد وضعها السكرتير منذ دقائق قبل مجيئه فوق مكتبه ، وكانت عبارة عن لفافة من الأوراق الخضراء التى تضم مستندات (معين يزدى) والمعروف ( بمعين التجار ) ، فأمسك القاضى بهذه المستندات وراح يتفحص الدعوى المرفوعة ، وهز رأسه متأسفًا وقال لنفسه :

الحمد لله على أنه فى هذه السن ليس لدى زوجة أو ابن حتى لا يتهمانى بالجنون فى أيام المشيب هذه ، وقد أظهر هذان الشقيقان وقاحة لاحد لها ، وأخيراً من هذا الإنسان الذى يجر جر أباه المسن إلى المحكمة من أجل الاستيلاء على ماله ، وفى الواقع إن الزمان قد تغير !

وبعد الاستغراق فى هذه الأفكار ، أخذ القاضى يتأوه ، وأغلق ملف المستندات على حالته الأولى ، وبعد أن هبأ نفسه ، استعد للذهاب إلى المكان المخصص للقضاء فى صالون المحكمة ، وقبل دخول القاضى هدايت بدقائق جلس شهاب وشاهين على المقاعد المخصصة لهما ، وحضر عدد من الأصدقاء والمعارف لمتابعة تفاصيل القضية فى صالون المحكمة .

وكان السيد (فروغى المحامى) المدافع عن السيد (معين يزدى) مثل الفاتحين فى الحرب حيث كان يمر أمام جنود مهزومين ، وقد دفع المقعد المتحرك لموكله - معين يزدى - فى المكان المخصص له ، وكان موكله شيخاً نحيفاً أو كما يقولون : جلد على عظم ، ويبدو على وجهه مسحة من حزن حيث وضعوا غطاء من الصوف فوق كتفيه وكان يتكىء هذا الرجل المريض على مقعد متحرك ، وكانت عيناه غائرتين ، وكانت نظراته الضعيفة تؤلم قلب من ينظر إليه ، وقد تسببت النوبة القلبية التى أصابت معين يزدى منذ عامين فى الرعشة غير الإرادية لفكه الأسفل ، وقد بدت



يده اليمنى المشلولة خارج ذلك الغطاء الصوفى ، ولكن مع كل هذا العجز الجسماني إلا أنه بدا ذا هندام منظم ، وكان قد ارتدى جاكيت رمادى اللون نظيفاً ، وكان يحيط بعنقه النحيف شال كحلى من الصوف .

وجذب اهتمام الحاضرين به وجود شعيرات قليلة بيضاء فى جانب من كتفه ، وكان يحمل كتيباً من الجلد البنى وقد وضع فوق غطاءه الصوفى وليس معلوماً لأى سبب أحضره معه إلى المحكمة ، ومع دخول القاضى والهئية المرافقة له ، وقف الحاضرون من باب الاحترام ، وقد جلس هدايت فى وقار خاص فى مقعد القضاء .

وفى البداية قرأ سكرتير المحكمة حيثيات الدعوى القضائية ، وكان شاهين يستمع إلى كلمات السكرتير فاتحاً فاه ، أما شهاب ، فكان قد طأطأ رأسه خجلاً .

وكانت العجوز الخادمة التى كانت تعمل لمدة عامين فى منزل معين يزدى ، قد جلست خلف الشقيقين ، وكانت تتمم ببعض الكلمات فى حين أن فخر السادات الذى كان رجلاً مسناً قد استشاط غضباً وأخذ هو الآخر يتمم بهذه الكلمات قائلاً : ياله من زمن عجيب أن يعق الأبناء الآباء ، ويا لها من أحوال غريبة ، إذ إن الحيوانات المتوحشة لا تهجم على الحيوان طالما أنه لم يمت ، بل إنها تلتف حوله حتى إذا مات تقطعه إرباً إرباً بعد

ذلك ، وما زال الأب على قيد الحياة ومع ذلك يريد هذان الشقيقان أن يستوليا على أمواله وممتلكاته ، ولكن إساءة الفهم والعقوق لا يصلان إلى هذا الحد .

وعندما سمع شاهين هذا الاعتراض من قبل هذه العجوز ، رجع إلى الوراء بهدوء ، وأخذ ينظر إليها فى غضب ، واغتتمت العجوز الفرصة وأشاحت بوجهها غاضبة عن شاهين ، وتسبب همس الحاضرين فى الجلسة فى أن القاضى قد دعاهم للسكوت للمرة الثانية .

وبعد قراءة حيثيات القضية ، طُلب من السيد (فروغى) المحامى المدافع أن يقرأ طلب الدفاع عن موكله ، لأنه سوف يصدر فى هذه الجلسة الرأى النهائى فيها ، وصاح السيد فروغى فى صوت عال محاولاً أن يلفت نظر هيئة المحكمة إلى دفاعه قائلاً : سيدى الرئيس ، هيئة المحكمة الموقرة ، لقد بحث جميع تفاصيل قضية السيد معين يزدى فى الجلسات السابقة، وأنا باعتبارى المحامى المدافع عن السيد معين يزدى أرفض اتهام موكلى ، استناداً إلى شهادة الطبيب القانونية التى تدل على تمتع موكلى بالقوة العقلية السليمة ، وبهذه المستندات هذه الشهادة الطبية ، وأنا أبرئ موكلى من هذه التهمة بنسبة ١٠٠٪ وفى الوقت نفسه فإن السيد معين يزدى يتنازل عن كل أمواله لابنيه شهاب وشاهين ، باستثناء جزء ضئيل يكفل له معيشته .



ولعل هذا الإيثار الأبوى يثير فيهما الإحساس بالمسئولية ويحرك فيهما غريزة الحنان ، ويكون فى ذلك درساً وعبرة لجميع أبناء المجتمع ، وليس لدى حديث آخر ، وأشكر هيئة المحكمة الموقرة ، وأطلب السعادة لجميع خلق الله ، ولم يكذبته السيد فروغى من جملته الأخيرة حتى أدخل تهامس الحاضرين بهدوء المحكمة ، وأمسك شاهين دون أن يدرى يد شهاب وقال: مبروك ، أخيراً استسلم الأب، فنظر إليه شهاب نظرة احتقار وقال له : على أى شىء مبروك ؟ أتعبر عظمة هذا الأب نوعاً من الاستسلام ؟ والاستسلام فى مواجهة من ؟ لقد لقننى هذا التصرف درساً عظيماً لن أنساه حتى آخر لحظات عمري ، إن هذا التنازل الأبى من قبل الأب بمثابة لكمة قوية صامتة ، حتى أننى مازلت أستشعر نارها فى قلبى ، ولكن ماذا يجدى ولا أظن أنك تفهم معنى كلماتى هذه ، فقد سيطر عشق الثراء على عقلك سيطرة كاملة .

وكان شاهين قد تعجب من كلمات شهاب ، لكنه لم يستطع أن يخفى مدى سعادته وقال ضاحكاً : الآن انهض لنذهب فلدينا أعمال كثيرة يجب أن ننجزها .

وخُتِمت الدعوى المرفوعة من شهاب وشاهين بالإعلان عن تنازل الأب عن أمواله لورثيه الشرعيين ، وفى هذا الوقت أثنى الحاضرون على الأب ، وتركوا قاعة المحكمة وهم يثنون على تنازله .

وخرج شهاب من المحكمة حزينًا مهمومًا ، وانزوى جانبًا  
هاربًا من الأسئلة العديدة لزوجته (مريم) .

\*\*\*

أما شاهين فراح يحلم بالثراء ، وذهب حتى يبشر زوجته  
(مينا) ، وعاد القاضي إلى مكتب عمله مرة أخرى ، بينما سيطرت  
عليه الأفكار المشوبة بالشفقة ، وألقى نفسه فوق المقعد وهو فى  
الحالة السابقة ، وبينما لم تمر دقائق على حضور هدايت فى مكتب  
عمله حتى أخبره السكرتير أن السيد فروغى محامى السيد يزدى  
يريد مقابلتك .

وعاد هدايت لطبيعته بعد العبوس ، وسمح له بالدخول  
مبتسمًا : أتأذن لى ياسيدى ؟ ورمقه هدايت بنظرة من فوق نظارته  
وقال : تفضل ياسيد فروغى ، هل لديك شىء ؟ نعم لدى  
موضوع مهم .

ودعا القاضي هدايت مشيرًا بيده إلى السيد فروغى بأن  
يجلس ، وانتقل السيد فروغى بالكرسى الجالس عليه بطريقة  
توحى بأنه سيخبره بموضوع مهم وتوجه نحو القاضي وقال :

حقيقة الأمر أن السيد معين قد كتب رسالة لكم وأرسها لكم  
مع كتيب مذكراته ، ونظرًا لأن موكلى حزين فقد أصر أن أتى  
بنفسى وأسلم لك الرسالة وكتيب المذكرات ، وأكد على أن أقدم  
لك هذه الأمانات ، فدهش هدايت ونظر إلى الرسالة وكتيب  
المذكرات وأخذهما ، وقد ترك فروغى مكتب هدايت مستريح  
البال بعد أنهى آخر عمل له أمام موكله وإن كان قد أثار فى داخله  
هاجسًا فكان يسأل نفسه :

ما هو هدف معين يزدى من كتابة أسرارهِ وإفشائها فى رسالة ؟ فليتنى أحل طلسم هذه الرسالة وذلك الكتيب البنى ؟ وبمجرد أن انصرف فروغى ، فتح هدايت الرسالة بسرعة وبدأ فى القراءة بدقة .

(بناء على القسم الذى قطعه على نفسه منذ سنوات ، فإننى قد أدت آخر عمل يملسه على ضميرى تجاه ولدى شهاب وشاهين ، وأقدم لك عن طيب خاطر كتيب ذكرياتى الذى هو أعظم تذكّار لحياتى ، فرّما عندما تطلعون عليه تدركون السر العظيم الذى تابعتم تفاصيله لسنوات ، فتخففوا عن كاهلى وطأته ، إذ إن الجزء الأعظم من ملاحظات هذا الكتيب هو عبارة عن الموضوعات التى تابعتم معرفتها لسنوات ، وإن كنت قد حفظت هذا السر حتى هذه اللحظة ، فإن ذلك بسبب القسم الذى قطعه على نفسه ، وإذا أردت الآن أن أفشى هذا السر ، فذلك لأننى أريد أن أودع آخر أيامى فى راحة بال ، وأتمنى لك من الله طول العمر ) توقيع : معين يزدى .

وأطال هدايت النظر فى الرسالة ، وقد أعاد للمرة الثانية قراءة هذه الرسالة ، وفجأة تغير لون وجهه وتراكت حبات العرق على جبهته ، فأخرج منديلا أبيض من جيب سرواله ، وجفف عرق الجبهة .

ولم يكن هذا العرق بسبب حرارة الغرفة بل بسبب اشتعال النار التى اختفت لسنوات تحت رماد الزمان ، وأخذت تشتعل فيه مرة أخرى بداية من رأسه حتى أخمص قدميه .

وكان قد سيطر عليه الانفعال الروحي بشكل تام لدرجة أنه لم تكن لديه القدرة على مواصلة الجلوس ، فنهض من المقعد الجالس فوقه وبدأ فى السير ، وسأل نفسه : هل يعرف هذا الرجل المسن شيئاً عن حياتى ؟ ! ولكن لا .. لا .. إذ إنه وفقاً لما جاء فى حيثيات القضية فهو لم يقم طويلاً فى مدينة شيراز ، فى حين أن تلك الوقائع ترتبط بسنوات طويلة بينما كان معين يزدى يعيش تلك السنوات فى « يزد » أو أصفهان . « فوضع القاضى هدايت إصبع السبابة على جبينه واستغرق فى التفكير ، واختلطت عليه الأفكار .. لعل قصده بالسر الحادثة المؤسفة للعممة (قمر) .. على الرغم من أننى لا أريد أن أتذكر تلك المرأة المسكينة وذكرياتهما المريرة فى حياتها ، ولكننى لا أستطيع أن أنسى بسهولة اعتراف الأب فى آخر لحظات حياته ، كيف أنه استطاع أن يسم أخته غير الشقيقة عن طريق بعض الأشخاص وذلك حتى يكون الوارث الوحيد لأبيه بشتى الطرق ، إن هذا يجعلنى أرتعش ، ولعله لم يكن لديه شىء من الدنيا ففعل مثل هذا الأمر من أجل الاستيلاء على أموال الأخت البريئة ، وتعتبر الدنيا دار القصاص ، وكان مرض الأب القصاص منه عن جميع شروره ، ذلك المرض الذى ابتعد فيه عنه جميع الأقارب وكنت شاهداً على تلك الأيام المريرة .

حتى لم يرعه أحد ولم تشفع له كل أمواله فى تلك الأيام  
لتكون علاجاً للحظة واحدة من معاناته . وهكذا تمكن المرضى من  
(الأب المسن) بحيث إنه لم يقو على شرب الماء ، وكنت أنا  
الوحيد الذى أرعى أبى المريض حتى آخر نفس له فى الحياة بحكم  
صلة الدم ، ولذنب لا أعرفه أصبحت مثار غضب فترة  
شيخوخته ، وما زالت السنوات تمر سنة بعد أخرى ، ومع ذلك  
أحس بصوت إطلاق الرصاصة التى أصابت قدمى اليمنى ،  
وأسأل نفسى دائماً لماذا بدد أبى سعادتى ، وطرده عصفور عشقى  
من بستان الحياة ؟

ولماذا أحال ربيع حياتى المتجدد إلى خريف ذابل ، وملاً  
مزهرية ورود حياتى بالقسوة والعنف ؟ وتساقطت قطرات الدمع  
الحارة من عينى السيد هدايت ، واستغرق فى التفكير للحظات فى  
ذكريات حلوة ومرة لذاك الماضى ، وتمتم بكلمات وقال لنفسه :  
من الأفضل أن أعود للمنزل سريعاً وأن أقرأ كتيب الذكريات .

وفُتح الباب الحديدى الكبير للحديقة بعد أن أحدث صوتاً  
مسموعاً ، وعاد الخادم إلى القاضى بعد أن فتح الباب ، وكان قد  
تعجب من عودته المفاجئة ، إذ قلما حدث أن عاد السيد هدايت  
إلى منزله نهائياً .

وأغلق باب الحديقة بعد أن دخل السيد هدايت بسيارته ،  
وعاد إلى الحجرة الصغيرة التى كانت مخصصة للبواب ، بينما

كانت (جواهر تاج) والددة السيدة هدايت تطل بوجهها وفقًا لعادتها كل يوم لتستمتع بنور الشمس المشرقة ، وعندما رأت ابنها ضحكت ووضعت نظارتها فوق أنفها وقالت :  
أعانك الله ، لقد عدت مبكرًا .

فنظر السيد هدايت إلى وجه أمه الذى تبدو عليه ملامح الكبر وقال : أشكرك يا أمى ، كنت أقرأ بعض المستندات بدقة ، وفى الحقيقة أمل أن أحظا براحة أكثر فى البيت وأرجو ألا يدخل أحد على تفهمين بالطبع ما أقصد ؟

ونظرت جواهر تاج إلى ابنها وقالت : اطمئن ، فلو كنت تقصد (محمده أونو) فقد أرسلتها لقضاء أمر ، وقد قصد السيد هدايت بذكره هذا الموضوع للأم ، أن يستريح من شروور الخادمة العجوز التى تفتعل الحديث لكى تثرثر ، وقد كانت الأم فى حاجة إلى أحاديثها أكثر من الآخرين ، وكانت الأم تشعر بالوحدة ، بعد وفاة زوجها ( سالارخان ) خاصة وأن السيد هدايت كان يقضى معظم وقته فى بحث القضايا ، وكان العيش بالنسبة له فى البيت الكبير باعثًا على السأم والملل ، ولهذا السبب كان يفضل أن يقضى أكثر أوقاته فى مكتب عمله ، ومنذ أن فقد زوجته فى سن الشباب ، لم يفكر فى الزواج من أخرى ، وأصبح هذا الأمر باعثًا لأن يقضى حياته إلى جوار أمه العجوز .



وكانت جواهر تاج امرأة مجربة ومحنكة ، فمنذ قدوم ابنها سعت فى الانصراف من مكانها ، ولهذا السبب نهضت من فوق مقعدها متوكئة على عكازها وأخذت تسير أمام الغرفة ، وأخذت تحدث نفسها فى صوت عال قائلة : يا إلهى العظيم ، اعف عني .. فقد أصبحت سبباً فى المتاعب الكثيرة لابنى ، يا إلهى اعف عن ذنب أبيه ، فقد تسببنا نحن الاثنان فى هدم سعادة ولدنا .. اعف عني يا إلهى العظيم . وعندما تذكرت العجوز ذكريات الماضى ، أخذت تنظر مرة أخرى إلى ركن ناء فى الحديقة وهو مقر ضريحين متجاورين ، ويخص الضريح أو القبر الأول قمر هدايت ويخص الثانى سالارخان هدايت .

وأخذت جواهر تاج تمعن النظر المتلاشى فى ذلك الركن الجانبي من الحديقة وقالت : ما أسعدكما برحيلكما ، حتى لا تريا المتاعب المتعددة لابنى ، ومنذ سنوات عندما أنظر إليه ألاحظ الحزن العميق على وجهه ، سامحنى يا إلهى ، وأنا أطلب العفو فى سكوته .

وهكذا وقفت جواهر تاج أمام صالة الغرفة بعد أن توكأت على عكازها ، وأخذت تنظر إلى نهاية الحديقة ، وبمجرد أن دخل السيد هدايت غرفته أغلق الباب على نفسه من الداخل ، وقرب المقعد الوثير من مدفأة الحائط ، وأخذ يحرك النار الهادئة المتبقية من الصباح بسيخ المدفأة ، وليزيدها اشتعالاً راح يضيف بعض

قطع الأخشاب إليها ، وشد ستارة النافذة وأضاء مصباح الغرفة ،  
وهيأ الغرفة جيداً للقراءة ، وكان متشوقاً إلى حد كبير إلى قراءة  
الكتيب البنى لمعين يزدى ، وكان قد بدأ أول سطر من الكتيب  
بهذه الجملة الجميلة .

(الحمد لله الذى منحنى القدرة على التفكير والتحدث)



## الفصل الثانى

لقد أصبح ميلاد حفيد الحاج أمين يزدى فى منزله باعثاً على أن تشغل ذكريات تلك اللحظات أذهان خدام المنزل لفترة طويلة ، لأننى قد ولدت بعد ثلاث ، إذ كان سعاة بيت الأب يتحدثون دائماً بسعادة غامرة عن ميلاد الأم ، خاصة الجدة (زهرا) ، تلك العجوز اللطيفة والتي كانت بمثابة والدتى ، وكانت فى كل وقت تظهر لى الخاتم الذهبى الذى كان والدى قد منحها إياه كبشرى ميلادى وكانت تسعد بتذكر تلك اللحظات وتضحك فى سعادة غامرة ، فكانت تظهر لثة أسنانها ، وكنت بدورى أسعد جداً بظهور فمها بدون أسنان ، وكانت رائحة ماء الورد تفوح من وشاحها الرقيق ذى اللون الأبيض الذى كان ممسوكاً من تحت ذقنها ببروش ، وحيث إننى فى معظم الأوقات كنت أذهب للنوم فى حضنها ، فقد تعودت على تلك الرائحة الطيبة لتلك العجوز المتدينة .

وأمسكت بيدي أكثر من مرة ، ووضعتنى فوق شىء عال فى الفناء ، وقالت : أيها الحبيب معين عندما ولدت كان هذا الفناء مليئاً بأفراد الأسرة ، ومن شدة سعادة أبىك لم يستطيع أن يثبت

على وضع معين ، إذ راح يفتل شاربیه ويدخن نرجيلته الفضية ، وكان يمنح الإنعام للآخرين على الفور ، ولا يمكن أن أنسى تلك اللحظات فى أى وقت من الأوقات ، ونظر الحاج أمين ذو الصوت الرقيق إلى الأسرة وقال : من الآن فصاعداً ينبغي على الجميع أن ينادوا ابنى باسم (معين التجار) وفى تلك الليلة نظرت (معصومة ومريم ومهرى ) إلى الأب بشكل يوحى بالاعتراض والحسرة ، ولكن الحاج فى اليوم التالى كان قد اشترى للبنات الثلاث ثلاثة عقود جميلة .

وطول المدة التى كانت جدتى تعيد فيها الحديث عن هذه القصة المعادة ، كنت أطيل النظر حول لثتها القرمزية ، وكان هذا يسعدنى إلى حد كبير ، ولما كانت ترى هذه العجوز الحنون أننى لا أصغى لأحاديثها ، كانت تضحك وتقول : فى أى شىء أنت مشغول ؟ وعندما أفكر متحسراً على أيام الطفولة ، أقول لنفسى ليت تلك الأيام تعود ثانية ، ولكن وأسفاه ، إن أية قوة لا تستطيع أن تعيد أيام الماضى ثانية ، وأحياناً أتذكر كيف أننى كنت أسىء لتلك العجوز المسكينة بشقاوتى ، وفى كثير من الأوقات كنت أمارس معها بعض الحيل وكنت أتسلل فى الوقت المناسب إلى غرفتها وأخبئ رداء صلاتها فى ركن من أركان الغرفة .

وبعد ذلك كنت أرى العجوز وهى تبحث عنه فى كل مكان ، فإذا تعبت من البحث ، نظرت إلى ، وكانت تقرأ فى عيني ، أننى قد أخفيت رداءها فكانت تقول راجية : حبیبى معین لقد ضاعت الصلاة منى فباللّٰه عليك أعطنى ردائى ، فكنت أدلها على مكانه ، فأشعر بنشوة الانتصار ، وأحياناً كنت أضايقها بإخفاء حاجياتها حتى أنها كانت تمسك لى بوصة النرجيلة ، وفى أحد الأيام جعلت العجوز المسكينة تجرى ورائى حتى تقطعت أنفاسها فقالت لى مستسلمة : هذا كاف يا حبيب الجدة ، فأنا لست شيطانة مثلك ، فارحمنى باللّٰه عليك وأعطنى مفاتيحى ، وقد جذب صوت ضحكاتى الجميع إلى الفناء حتى أن بقية الأسرة الذين كانوا ضائقي من شقاوتى ، قد نصبوا لى كميناً مع جدتى ، وفى النهاية ، تدحرجت تحت أيدى شقيقاتى وأرجلهن مثل حمل سقط فى براثن الذئب ، وانتهزت جدتى الفرصة ونفست عن نفسها بضربى عدة ضربات ببوصة النرجيلة على قدمى .

وأحدث الجميع جلبة على مائدة الطعام حتى لا أخبر الأب عن أفعالهن ، لهذا فقد امتنعت عن تناول الطعام لألفت انتباهه ، فكنت أحرك عيني بشكل ملحوظ ، فسألنى أبى فى صوت حنون إذ كان على دراية كاملة بتصرفاتى ماذا حدث يا معین ؟ فأشرت بعيني إلى (معصومة ومريم ومهرى) .

وشيتاً فشيئاً ، تحسنت العلاقة بينى وبين جدتى التى قد تولت  
مسؤلية رعايتى فى البيت ، فاتبعت جدتى معى سياسة المسالمة ،  
وقد وفقت فى ذلك بإعطائى الحلوى والفستق واللوز واللب ،  
لأتحول من طفل شقى إلى طفل هادىء ومطيع ، وبعد ذلك عندما  
كنت أتذكر أننى أؤذى جدتى ، كنت أخجل من تحملها وصبرها ،  
وكنت أحس بالندم لكونى كنت الابن الوحيد فى البيت الذى  
يسبب الأذى لها ولشقيقتائى ، ولا شك أن أحاسيس أبى الدافئة  
كانت تؤيدنى فى هذه (القضية) ، ولم يكن الأب يحيط علماً  
بجميع الأعيبى ، ولو لم يفضلنى عن شقيقتائى لما كانت هناك  
أية مشكلة ، إلا أن الأب منذ فترة الطفولة وهو يميزنى عن  
الآخرين ، وفى بعض الأوقات كان صوته يدوى فى أذنى إذ كان  
يقول لى :

استعد يا معين ، فإن المعاملة فى الحرفة مختلفة ، وينبغى أن  
تكون إلى جوارى ، وأن يكون الأب والابن معاً ، فيكبر بذلك  
العمل ويتطور ، وأنا لم أكن أكثر من طفل مثلك ، وكنت أمسك  
بذقنى ، وكنا نخرج من المنزل معاً ، وكان هذا الأمر يثير غيرة  
جميع شقيقتائى خاصة أختى مهرى التى كانت أصغر من جميع  
الشقيقات وأكثر حساسية ، وفى النهاية فقد أضر هذا التمييز  
الأبوى بى ضرراً كبيراً ، حتى أنهن كن يتربصن لى انتظاراً لمجيئى  
فى أحد أركان البيت الخالية ثم يوسعننى ضرباً .

وشيتاً فشيئاً قلت لأعيب القط والفأر هذه بينى وبين  
شقيقتائى فى المنزل .

وكلما كبرت أكثر زادت روابط الصداقة بينى وبين مهري خاصة ، إذ إنها كانت أجراً من مريم ومعصومة ، وأكثر وداً ، وذات يوم نظرت إلى وقالت : انظر يا معين لقد نبت الشعر أسفل شفتك ، فاحمررت خجلاً ، ونظرت إليها فى حياء ، وبعد عدة لحظات، توجهت خفية إلى المرأة ونظرت أسفل شفتى ، فكان الصدق ما قالت ( مهري ) شيئاً فشيئاً أصبحت فى زمرة الرجال .. وتريدون الحقيقة ، فقد ذاب السكر فى فمى سعادة وفرحاً .

وقد أصبح هذا الأمر سبباً فى أننى قد غيرت من سلوكى وتصرفاتى يوماً فيوماً ، وعلى الرغم من أن صوتى كان قد تغير قليلاً ، إلا أننى تعمدت أن أجعل صوتى خشناً أكثر من اللازم ، وسرعان ما تغيرت الشعيرات المعدودة خلف شفتى بشارب حالك السواد . ولم يختلف صوتى كثيراً ، ويوماً فيوماً كنت أقترب من مرحلة الشباب الجميلة ، ومرت فترات المدرسة الابتدائية والثانوية مثل حلم جميل ، وكنت إلى جوار التعلم أمارس أعمال الأب أيضاً .

وعلى حد قول أبى فقد كنت محظوظاً ، إذ إننى قد عوفيت من قضاء عامين فى الجيش ، على الرغم من أننى شخصياً كنت أحب كثيراً أن ألتحق بالجيش ، ولكن على حد قول أبى أنه لم يكن يطيق الابتعاد عن ابنه الوحيد لحظة واحدة ، فكان يظن هذا الإعفاء من الخدمة العسكرية نوعاً من حسن الحظ بالنسبة لى .

وعندما بلغت العشرين من عمري ، ناداني أبى ذات يوم وقال :  
ابنى الحبيب معين .. تعال واجلس فلدى أمر مهم يخصك .  
وقد فهمت من طريقة كلام أبى أن القضية مهمة للغاية  
وجلست فى هدوء فوق لفافة من السجاد المطوى فى أحد أركان  
الحجرة ، وكان أبى وفقاً لعادته يجلس فوق مقعده الخاص ، وكان  
أمامه مكتب خشبى وسيع ، وقد وضع فوقه لوحة زاهرة بالنقوش  
والرسومات من أعمال فنانى أصفهان ، وكان بالقرب منه آلة  
حاسبة قديمة ، وكان الباب وجدار الحجرة مليئين بقطع من السجاد  
القيم الذى ينتمى إلى يزد وأصفهان وكاشان ، وكان هناك تمثال  
جميل لإمام المتقين على ، والذى أبدعه فنانو أصفهان ، وقد وضع  
فى مكان معين فوق رأس الأب بالحجرة ، ولاحظت أن الأب  
يلهو بأجزاء الآلة الحاسبة التى كنت أحبها كثيراً ، والتى كانت  
شاهداً على نشأتى .

ورفع أبى رأسه مرة واحدة ونظر إلى عيني نظرة حنوناً وقال  
بطريقة لطيفة :

ابنى الحبيب ، ترى أن كل شاب لابد وأن يتزوج ذات يوم ،  
وعندما سمعت كلام الأب ، احمرت أذنى خجلاً وأخذ قلبى  
ينفقد شيئاً فشيئاً ، وواصل أبى حديثه فى هدوء وقال إن لدى  
آمالاً عريضة تجاهك ، وأحب أن أرى عروسك ، فأعظم أمنية  
للأب هى أن يرى عروس ابنه ، وكانت أحاديث الأب قد  
فاجأتنى ، فلم أكن أعرف ماذا أقول .



وكان لا يزال أبى يتحدث حديثه الممتع عن زواجى وزواج شقيقاتى ثم ضحك وقال : تتمنى والدتك أن تراك فى ملابس الزفاف ، وقد اختارت لك العروس وقد رشحت لك (ماهرخ)

ولم أجعله يتم كلامه وصححت قائلاً : من ماهرخ هذه . ولم أنه جملى حتى قال أبى : إنك منذ عدة شهور قد جئت إلى الدنيا ، فاصبر قليلاً أتم كلامى .

وبينما كنت أغلى من الداخل تظاهرت بالسكوت حتى ينتهى أبى من كلامه ، وصمت قليلاً ، ثم واصل حديثه قائلاً : حسن يا بنى ، إن والدتك تقول إما ماهرخ وإلا فلا ، فابنة خالك جميلة ووجيهة ، وهى من أسرة ، فلو وافقت فإننا سنذهب معاً ليلة الجمعة إلى منزل العروس وننهى الأمر، فقلت دون أن أشعر : تنهون ماذا ؟ إنك تتحدث حديثاً لا طائل منه ، إذ إن ماهرخ مثل أختى وفى الحقيقة إن قلبى معلق بأخرى ، وبمجرد أن أخبرت أبى بهذا الأمر حتى سيطر على الخجل وطأطأت رأسى إلى الأرض ، وأخذت أنظر إلى عينيه من أسفل بينما أشاح هو بوجهه إلى الناحية الأخرى ، وأخذ يتمم ببعض الكلمات ، وفجأة اقترب الأب منى ووقف أمامى وأحسن صنعاً أنه لم ينظر إلى ، فكنت دائماً أخاف من نظرات أبى ، وواتنى الجرأة وقلت ! إننى أرفض هذا الزواج ، فأنا أريد الإنسانية التى أحبها .

وأسكتنى صوت الأب الذى قال : لعلك تستطيع أن تعارض أمك ، إنها تريد الخير والصلاح لك ، وقد أثارت جرأتى الزائدة

غضب أبى ، وأخذ يكح ، فأحضرت له كوب ماء بسرعة ،  
فشرب قليلاً وأعطانى الكوب غاضباً ، ومسح نصف شاربه بظهر  
يده وقال : انظر يا ولدى العزيز ، لا ينبغي أن يتسرع الإنسان ،  
فعلية أن يفكر أولاً ثم بعد ذلك يتخذ القرار ، ولا أرى أن الوقت  
مناسب للجدال ، ولدت بالصمت بعض الوقت بينما كنت  
أشتعل ناراً من الداخل ، لأن عقلى قد سلبته عينان خضروان ،  
فوجهها مثل قرص الشمس ، وذات شعر فى لون الحناء ، وهى  
ملاك حنون ، كما أن كل جوارحى متعلقة بهذه الفتاة الجميلة التى  
تدعى شيرين وهى اسم على مسمى .

والآن ، كيف أستطيع أن أنسى كل هذا العشق وهذا الحب  
وأتجاهل كل مشاعرى . وفكرت فى أننى أستطيع أن أقنع والدتى  
بالتدريج حتى تكف عن الجدال والعناد ، فلو أطعتها فإننى أكون  
قد اضطررت لأن أرضى بحياة لا أحبها ، فتوجهت للأب وقلت  
لا شأن لك بى يا والدى كما أن العشق أثار فى العناد ، فسأل  
والدى إلى أين أنت ذاهب ؟ فأجبت : إلى البيت ، وقال بشكل  
أهدأ من ذى قبل : لا مجال للجدال الآن .

وطأطأت رأسى ، وقلت : لا يا أبى هل أستطيع أنا أو غيرى  
أن يجارى الأم فى النقاش والجدال ؟ فملأت ضحكات أبى  
فراغ الحجره وقال : حسن من لا يأتى بعصا موسى يأتى بعصا  
فرعون !

فنظرت إليه مباشرة وسألته : ماذا تعنى ؟



فسعل وقال : لاشيء يا ولدى ، انصرف ، وخرجت من حجرة الأب ، ولكن لم أقو على التحرك ، وأخذت أسير دون هدف فى الشوارع ، وكنت حائراً ، وددت أن أتحدث مع أى شخص ، وأخذت أحدث نفسى : لماذا لا يفهم بعض الآباء والأمهات أبناءهم ولا يهتمون بأحاسيسهم ؟

إن الزواج ليس مثل شراء قطعة سجاد وبالفصال يمكن التوصل إلى أنسب سعر مثلاً ! ومن وجهة نظرى فإن أول ركن من أركان الزواج أن يكون هناك نوع من العشق والإحساس الطاهر لدى كل إنسان ، كما أن هذا العشق ليس بالشىء الهين الذى يستطيع الآخرون أن يحققوه ، بل يجب أن يشور هذا الإحساس داخل الإنسان .

وكنت أحدث نفسى مثل الأفراد التائهين ، وكان أغلب قلقي من ناحية أمى ، فعندما يمتلك الغضب الإنسان يصبح كالنمر الهائج ، بينما غضب الأب لم يستمر أكثر من دقيقة ، وكان أكثر تفهماً للكثير من القضايا .

وكان قلقي يدفعنى إلى السير فى كل اتجاه ، حيث أفكر فى المفتاح الذى يحل لى هذه المشكلة ، وتوجهت إلى ضريح إما مزادة ، الذى كان بالقرب من حينا ، وقد ذهبت إلى ذلك المكان دون أن أشعر ، ودخلت فناء إما مزادة ، فقد كان لى منذ الطفولة علاقة خاصة بهذا المكان المقدس ، وكانت الروح المعنوية للإنسان

ترتفع بمجرد رؤية هذا الضريح ومشاهدة وجوه الناس الذين شغلوا بزيارته ، وجلست بجوار حوض فى فناء الضريح حيث كان مملوءاً بالأسماك الحمراء والبرتقالية .

فقلت لنفسى : إن هذه الأسماك ليست مضطربة لأن تتزاوج جبراً ، ووضعت يدى اليمنى بهدوء فى الماء ، ففرت الأسماك فرعاً ، وانعكست صورة وجهى فوق الماء ، وكانت تهتز باستمرار وهى فى الواقع مثل ركبتى اللتين أخذتا فى الارتعاش من شدة التعب ، وربما أن القلق الشديد قد تسبب لى فى هذا ، وعلى أية حال كنت أعلم أننى سوف أواجه متاعب كثيرة بسبب ( شيرين ) ، وذهبت إلى صنبور المياه وتوضأت ودخلت الحرم ، وتوجهت نحو القبلة ، وأغمضت عينى وهمست قائلاً : يا إلهى ساعدنى حتى أحل هذه المشكلة الكبيرة ، وأنا لا أحب ماهرخ أساساً ، ولا أقول إنها فتاة سيئة أو إنها ليست رزينة أو جميلة ، ولكننى أحب فتاة أخرى ، ليس الأمر بيدى ، فالذنب ذنب قلبى الذى تعلق بفتاة أخرى .

يا إلهى كل أملى مرتبط بلطفك وعظمتك ، وقد سعت منذ الصغر أن أكون العبد الشاكر والمطيع فى حضرتك ، والآن آن الأوان أن تكافئ عبدك الحقيق على السلوك القويم ، فأنا مستغن عن متاع الدنيا ، ولكن سعادتى فى الزاوج من شيرين ، فساعدنى حتى ترضى أسمى بهذا الأمر .... آمين . ومسحت باليد على

وجهى ، ومررت أصابعى على عيني ، وشعرت بالسكينة أكثر من  
ذى قبل ، والواقع أن مناجاة الحق تعالى تريح الإنسان ، وتزيل  
الهم والحزن عن القلوب .

وخرجت من فناء إما مزادة ، وسرت فى سوق السجاد الذى  
كان يقع فيه إما مزادة ، وكانت المحال زاخرة بالأقمشة المتنوعة ،  
وفتشت جيوبى فرأيتها عامرة ، فكان يمكن أن أشتري عدة أمتار  
من القماش ، فنظرت نحو الحاج آقا ربانى فضحك كالعادة  
ضحكة كلها بشاشة ، إذ كان من أصدقاء أبى الحميمين ، فتقدمت  
وألقيت السلام ، واخترت من بين الأقمشة العديدة قطعة قماش .

وعندما كان الحاج يقيس قطعة القماش ، تساءل عزيزى  
معين ما الخبر ؟ فضحكت وقلت لا يا حاج ربانى إنى أشتري هذا  
القماش من أجل والدتى .

وفكر قليلا وقال : أحسنت إنك بالفعل ابن الحاج أمين  
وطوى قطعة القماش فى ورقة وأعطاهالى ، فتوجهت نحو  
البيت ، وأخذت أفكر ، سوف تتعجب أمى كثيراً ، فهذه أول مرة  
أشتري لها هدية ، وماذا أفعل مع مريم ومهرى ؟ سأقول لم يكن  
معى نقود ، وبالتأكيد سوف تصدقان ذلك ، ودخلت المنزل ،  
وتوجهت إلى الناحية اليمنى حيث حجرة أمى ، وكانت مريم  
ومهرى جالستين إلى جوارها ، وكان الجميع مشغولين بتجهيز  
مريم ، وكان معلوماً أنها سوف تزف إلى زوجها فى اليوم التالى ،

إذ كان السيد (مهدى) ابن عمى قد خطب مريم منذ شهرين تقريباً ، ومنذ ذلك اليوم فإن أمى لا تهدأ ، فإما أنها كانت تذهب إلى السوق لتشتري شيئاً ، وإما أنها كانت مشغولة بإعداد حاجيات مريم بإحدى الغرف ، وكانت تهتم بهذا الأمر اهتماماً كبيراً لدرجة أن جلاب خادمة البيت الشابة لم تكن تستطيع أن تتدخل فى شئون إعداد جهاز العروس ، إذ إن الأم كانت تحب أن تتولى إعداد هذه الأمور وحدها ، والحقيقة أن المرأة كانت حسنة الفطرة ومحنكة ، ومنذ اليوم الذى نقل فيه جهاز معصومة الأخت الكبرى إلى منزل العريس ، وقد ذاع صيت ذوق أمى لدى النساء الزديات ، ولما أنهن لم يشغلن بالهن بحضورى فى الغرفة فقد غضبت كثيراً ، وقلت معترضاً : ألهذا مريم هانم مهمة حتى أنكن لا تجبن على سلامى ؟ ! فضحكت الأم التى كانت سيباً لما أنا فيه وقالت : وعليك السلام....معين حبيبى ..لقد ظهر حسدك ، والحمد لله أن (مهري) بينك وبيننا وإلا وصلنا حسدك .

وضحكت من أجل أن أصرف نظر أمى عن جهاز مريم ، وقلت :أغمضى عينيك حتى أعطيك الهدية التى اشتريتها لك ، فدهشت وسألت : هدية لى أنا ؟

أجبت : نعم ، فنظرت الأم إلى مريم ومهري وسألت : يا ابنتى من أية جهة تشرق الشمس اليوم ؟ فضحكت كل من مريم

ومهرى فى صوت عال وقالتا : من الغرب ورفعت صوتى  
وقلت : هذا المزاح كاف ، إذ إننى اشتريت قطعة القماش هذه  
حتى تحكيها وتضعيها فوق المائدة عند العقد على مريم .

وقلبت الأم قطعة القماش فى سعادة غامرة ، وقالت : ألم  
يخطر على بالك أن يكون القماش شبابى وزاه ، فغضبت وقلت :  
القماش ، قماش ، ولا فرق بين شاب وشيخ فى هذا الشأن ، فهى  
قطعة قماش من أجل أن تكون مائدة العقد مبهجة وجميلة ،  
وعلى كل هذا ذوقى ، وخرجت من الغرفة متذمرأ ، وجلست  
فوق درجة السلم التى كانت تربط البهو بالفناء ، وشيئاً فشيئاً  
كانت الشمس على وشك الغروب ، وقد رأيت ضوءاً خافتاً عند  
نهاية جدار الفناء ، وألقيت نظرة متفحصة لأول مرة على كل  
الفناء وقد نُقش هذا الأمر فى ذكريات طفولتى وشبابى ، وكنت  
أضحك عندما أتذكر أننى كثيراً ما كنت أضرب باب الفناء  
الحديدى حتى يحدث جلبة ، فإذا ما هداً الصوت نهضت من  
مكاني وبدأت فى الرقص ، وكنت أفكر قائلاً : كم من المتاعب  
تحملها أبى فى إنشاء مثل هذا البيت ، فلم يكن لمثل هذا المنزل  
نظير فى المنطقة ، وله باب خشبى ضخمة من جزئين ، يجذب دائماً  
أنظار السائرين ، ولكل واحد منا حجرة خاصة بالبيت ، وكانت  
أبواب الحجرات كلها من الخشب الرقيق الذى تجمله أنواع  
الزجاج الهندسية ، وكان لدى إحساس عجيب حيث كنت أشاهد

كل مكان باهتمام زائد ، وكان شخص قد صاح داخلى : إنك سوف تترك هذا البيت سريعاً ، وللهروب من هذه الأفكار المفزعة شغلت اهتمامى بدجاجة الأم التى كانت تدل كتاكيتها على العش ، بينما كانت تلك الكتاكيت تتجه إلى الناحية الأخرى فى شقاوة غريبة . (وجلأب) التى لاحظت تواجدى فى الفناء ، تغطت بالحجاب جيداً ، وشغلت بالماء ومكنسة الفناء ، ولعلها أرادت أن تبين لى أنها ما زالت حتى ذلك الوقت تمارس عملها ، وتركت ذلك المكان بمجرد ارتفاع الغبار والتراب ، وذهبت إلى غرفتى وكنت محتاجاً لقسط من الراحة حتى أستطيع أن أفكر جيداً ، لأننى كنت أعلم أنه بعد إتمام زواج مريم سوف يأتى الدور علىّ ، ولا بد أن أكون جاهزاً للمواجهة ، وكانت الفرصة مهيأة لى فى صباح اليوم التالى حتى أذهب لرؤية شيرين مهما كانت رؤية أبى من هذا الزواج ، وكان والدى مشغولاً بتدخين النرجيلة ، وكانت الحجرة فى ذلك اليوم مغلقة ، إذ ينبغى عليهم أن يناقشوا أمور زواج مريم ، ووقفت أمام باب حجرتي وألقيت السلام .

فترك دخان النرجيلة بين شفتيه وسأل : ماذا وراءك يابطل<sup>(١)</sup> ؟ فضحكت من كلام أبى ، إذ إن كلمة بطل هذه لم تكن محببة لى ، ولماذا لا أتماسك وأضطر يوماً لأن أربط حزامى أسفل البطن مثل أبى ، وعندما كنا نذهب إلى الحلاق معاً ، فقد كان أميرزا الحلاق يضطر لأن يحلق ذقن أبى جزءاً جزءاً ، وكان يجب



عليهم أن ينادوه بالبطل، بينما كنت بجواره مثل ذبابة لا وزن لها .  
وقلت حائراً : بعد إذنك يا أبى سوف أذهب مباشرة إلى ورشة  
سكينة هانم لنسج السجاد فلو كان السجاد جاهزاً نقلناه إلى  
الحجرة بمساعدة (رضا) فنظر إلى الأب متحيراً ، وسأل ألم تذهب  
هناك منذ عدة أيام وقالت لك إنه لم يجهز بعد ؟ كما أن اليوم  
لدينا أمور أكثر أهمية تتطلب ألا تذهب هناك .

فحككت ذقنى وقلت : ولكن من الممكن أن يكون جاهزاً  
الآن ، إذ قيل إن الصانع سوف يأخذ عملاً إضافياً لإنهاءه . ففكر  
الأب قليلاً وألقى ببوصة النرجيلة على الأرض ، ونهض واقفاً  
وخرج من الغرفة وقال فى هدوء :

تعال ورائى يا معين ، فإنى أحتاجك ، ووقف فى أحد أركان  
الفناء ، ونظر إلى عيني وقال : تحدث بصراحة لأرى ما هى حكاية  
ورشة سكينة هانم ؟ ! وتحيرت ماذا أقول ؟ وفكرت قليلاً وقلت ،  
لقد تأخر إعداد غرفة مريم بعض الوقت فرمقنى الأب بنظرة  
وقال : أتظن أننى صدقت ... لا يا ولدى إن الموضوع غير ما  
تقول وهو أهم من هذه الأحاديث .

فطأطأت رأسى وقلت : سوف أشرح لك الموضوع بعد ذلك  
بالتفصيل ، ووضع الأب يديه على خصره وقال : ولكننى أريد أن



أعرف الآن ، ونظرت حولي ، ومن حُسن الحظ لم يكن أحد يراقبني وقلت : عدني أن لا يعرف بموضوعي أحد سواي وسواك ؟

فمد يده وقال : أعدك .

فقلت متلعثماً : هل رأيت يا أبى ابنة سكىنة هانم ؟ فضحك الأب وقال : رأيت أننى لم أبلع الطعم ؟ وأخذ يتحدث بسرعة وقال : لقد كنت يوماً شاباً مثلك ولا عيب فى هذا بشرط أن لا يكون نوعاً من اللهو وأن يتم فى الحلال .

فنظرت نحو الأرض وقلت : أنا يا أبى لست شاباً لا هيأ ، وحياتى مرهونة بهذه الفتاة ، وسألت عنها كثيراً والحمد لله وجدتتها كما أردت ، فلمعت عينا والدى ونظر إلى حائراً ، وسكت لحظات ولم يتحدث وفجأة قال ضاحكاً : الآن أنت فكرت جيداً ، ولا اعتراض عندي ، على البركة .. يا على ، وأمسك الأب يدي وضغط عليها بحرارة وبكىنا معاً ، وقال الأب فى هدوء : اصبر حتى تتزوج مريم بالسلامة ثم انظر فى أمرك ، فقبلت وجهه جيداً وقلت : سوف أظل حتى آخر العمر خادمك .

### الفصل الثالث

ومع التعهد الذى أخذته على أبى ، فقد كنت قلقًا للغاية ، إذ إن ماهرخ سليفة أسرة عزيزة على أمى ، فلو رفضتها ، لا أعرف ماذا ستكون عاقبة الأمر معها ، وتوكلت على الله ، وشغلنا بالإعداد لأموال الزواج بمصاحبة (رضا) الذى تربى فى بيت أبى ، وقد لاحظت فى ذلك اليوم حركة غير عادية فى بيت أبى ، وكنت أشعر بالوحدة وسط هذا العمل الدائم لأسرتى ، وكان وجه أمى ضاحكًا وكانت دائمًا تتقل من مكان لآخر ولم تمكث (جلاب) المسكينة لحظة فى مكانها ، وكنت أحب أن أفعل شيئًا حتى أجذب نظر رضا إليها ، ولكن للأسف هى بنفسها لاتساعد على ذلك لأنها كانت فتاة غير منظمة مع تمتعها بقوام ممشوق ، وربما يساعدها الحظ يومًا ، وكنت أرغب فى أن أصرخ فيها : أيتها الفتاة هذى شعرك المتناثر أو على الأقل اغسلى يديك ووجهك مرة كل يوم ، ولكن للأسف فإن مشاكل الحياة ألقتها عن ذلك ، وكان قلبى يحترق من أجلها ، وقد مات أبوها وهى فى سن السابعة ، وكانت أمى تعطف على أسرتها ، بل وأوجدت لها وظيفة ، إذ إن والدتها (جلاب) كانت ترعى خمسة أبناء أيتام لها

بشق الأنفس ، وكان رعاية أحد أبنائها (جلاب ) نعمة كبرى  
بالنسبة للأم ، وقد حدث ذلك فى بيت الحاج أمين ...

واشترينا مستلزمات الأم بصحبة رضا ، وعدنا على الفور إلى  
المنزل ، ووددت أن أجد مكاناً مريحاً لكى أستريح من عناء  
اليوم ، وكان ظل جدار الفناء أفضل مكان لذلك ، فذهبت أنا  
ورضا إلى هذا المكان حتى نستريح ، فأحضرت جلاب وهى  
تجرى دورق ماء ومعها كوب ، ومد رضا يده وتناول دورق الماء ،  
وملأ الكوب وشرب ، وبمجرد أن ابتعدت عنا جلاب عدة  
خطوات سألت : مارأيك فى جلاب ؟ فطأطأ رأسه ، ومرر يده  
على شعره وقال : أتسخر منا ؟

فقلت بشكل جاد : لا والله كنت أريد أن أسألك عن وجهة  
نظرك فى شأن هذه الفتاة .

فأجاب رضا : فى الحقيقة ياسيد معين أنا مشغول للغاية  
بوالدتى المريضة ، وبعد ذلك ليفعل الله مايريد ، وهززت رأسى  
وقلت : وبعد هذا ؟

قال يا سيد معين من لا يريد أن يتزوج ويبنى أسرة ، أما  
بخصوص جلاب فهى فتاة نجيبة وجميلة ولكن أساس مشكلتى  
أننى مشغول بأخرى .

وربت على كتفه بيدى وضغطت عليه وقلت دعك من هذا ،  
وملجأنا جميعاً إلى الله .

ولكن مع وجود هذا فسوف أخبر والدى بهذا الأمر - أمر رضا - وإن شاء الله وبِعونه سوف تحل المشكلة ، وتفتح وجه رضا مثل الوردة وقال إنك مثل أخى وقد كنت منذ طفولتى فى كنف الحاج أمين ، وفى الواقع فأنا وأمى نعترف لأبيك بالجميل .

ونظرت إلى رضا خان واعترف بالحق إننى أقدر هذا الشاب المكافح وأحترمه ، وبينما كنت أفكر فيه سأل : أتجراً وأقول إننى سمعت أنك ستتزوج ماهرخ هانم ، فقاطعت كلامه وقلت : لاتصغ للشائعات التى تلوكها النساء .

وبينما كنت مشغولاً بالحديث مع (رضا) وقعت عيني على مهرى التى شُغلت ببعض الأمور ، واعتذرت لرضا وتوجهت نحوها .

وسألت أين مريم ؟ لماذا لاأراها اليوم ؟

فضحكت مهرى فى شقاوة وقالت : إن رؤية العروس الهانم تكلف كثيراً ، فمددت يدي فى جيوب سروالى ووضعت فى يدها بعضاً من النقود الصغيرة .

فنظرت إلى النقود فى استهزاء وقالت : هذه هى النقود فغضبت وقلت لاأريد أن أرى العروس يا مهرى .

فضحكت وقالت : لاتغضب إذ إن العريس قد أخذ العروس إلى الحمام ، وبعد نصف ساعة سيعودان إلى البيت أكنت تريد أن

تراها حقيقة . فنظرت إلى السماء وقلت : الآن أفوض أمرك لله  
فضربتني على صدرى بعنف وقالت : هل فكرت إذ ينبغي عليك  
أن تنثر حفنة نقود فوق رأسها .. أفهمت يا أخى .. حفنة نقود ..  
فوضعت يدي في جيوبى وقلت : لا أريد أن أراها يا مهرى ،  
فغضبت مهرى وقالت : إن شاء الله سوف يأتي الدور عليك  
يوماً ما ، وسأرى ماذا يكون إنفاقك ، فرق قلبي لكلامها ،  
ومددت يدي على رأسها وقلت : حبيتي مهرى لم أقصد ، فقط  
لا أعلم لماذا اليوم أنا مكدر فاعفى عني ..

وقد تمت المراسم العظيمة لنقل العروس من منزلنا .

وكنت أعيش في عالم آخر ، غير عالم الآخرين ، وقد بدت  
سعادة النساء والأطفال أمامي في شكل جلبة ، ولم أكن أنظر  
بانبهار لمقدم الضيوف الذين ارتدوا الملابس الملونة ذات النقوش  
الجميلة ، إذ كنت أفقد شيئاً لم يكن موجوداً، وهو أن أرى ذاتي  
في هذا المشهد الجميل ، ومشهد العروس الجميلة التي كانت  
تجيب على المأذون بقولها : نعم .

وكنت أتخيل مشهد سفرة العقد العظيمة حيث أتقابل مع  
عروسي شيرين ، وكنت أريد أن أتذوق بقمي طعم شيرين الحلو  
من رأسها حتى أخمص قدميها ، وكأن جميع الحاضرين الذين  
تجمعوا في الفناء كانوا يغنون من أجلى أنا أغنية السعادة ،

وتمنيت أن أظل لساعات غارقاً في رؤية هذا الوصال الجميل  
لشيرين ، ولكن وا أسفاه ، فإن اللحظات الجميلة للحياة سرعان  
ماتزول ، وصحوت من حلمي على صوت أمي التي راحت  
تنادينني ، وأدركت أن هناك فراسخ من المسافات تبعدني عن  
الحقيقة .

وكان قد مر نصف الليل ، وتعب جميع أهل المنزل من جراء  
تبعات الزفاف ، لهذا فقد استغرقوا في نوم عميق ، وكلما  
تدحرجت في الفراش طار النوم من عيني ، وكنت نصف يقظ في  
الفراش وعم الصمت العجيب أرجاء البيت ، وتوكت على  
الجدار الذي بجوار سريري وأخذت أنظر إلى السماء ، وكانت  
السماء صافية ومليئة بالنجوم ولم يكن هناك أثر لنسحاب يمكن  
أن يخفي هذه النجوم وأخذت أعدها ولكن سرعان ماتعت من  
العد ، وكان قد اصطف عدد من تلك النجوم ذات النور المتلألئ  
في السماء .

وكان هذا المنظر بديعاً ، وكأن بعضاً منها كان يضحك  
للإنسان ، وكان بعضها يتلألأ وكأنها تلامس بعضها بعضاً في  
النور والضياء ، وأحسست وكأنني جلست وسط الصحراء ،  
وكان اتساع السماء باعثاً على أنني لا أحس بضالة الفناء .

وتعبت فخفضت رأسي وقلت لنفسي إن النوم المريح نعمة  
كبرى للإنسان ، ومنذ فترة من الوقت لم أتم نوماً مريحاً ، ولم  
يفارق وجه شيرين الجميل ابنة سكينه هانم عيني قط ، خاصة أول

يوم طرقت فيه باب بيتها ، وانتظرت حتى يفتح لى أحد باب البيت ، وسأل صوت لطيف من بالباب ؟

فأجبت أننى أريد سكىنة هانم ، وفُتح الباب الخشبى للبهو ، وفى تلك الأثناء ظهر وسط الباب ملاك جميل يضع على الرأس رداء الصلاة الأبيض وهمس فى صوت رقيق :

عفواً ياسيدى إن والدتى ليست بالمنزل ، وألقيت السلام متعثراً فى النطق ، وأردت أن أتحدث ، ولكن صوتى كان يرتعش ، فخشيت أن يثير تصرفى السخرية ، وتمهلث قليلاً وأخذت أنظر إليها بكل جوارحى وقلت فى نفسى ، جل الخالق الذى منح هذه الفتاة كل هذا الجمال حتى إننى لم أر عينين خضراوين بهذا الجمال قط ، وذات شفاه ياقوتية لونها بلون البرعم الذى تفتح منذ قليل .

كما أن بعض الشعيرات الذهبية التى خرجت من تحت رداؤها قد منحت جبهتها جمالاً خاصاً ، وتاهت نظرتى فى كل هذا الجمال دون أن أشعر ، وخوفاً من أن تظن أننى شخص مجنون بدأت فى الحديث بصعوبة وقلت : أنا ابن الحاج أمين ، كان أبى قد أوصى والدتك على عدة تابلوهات من السجاد ، وتغير الموعد إلى اليوم .

وجذبتنى شيرين الساحرة وقالت : بالفعل والدتى ليست موجودة فإن لم يكن هناك مشقة عليك ، شرفنا بعد ساعة أو



ساعتين ، يا إلهي ، عندما كانت تتحدث ، فكأن شخصاً قد أمسك بقلبي ، وكأنني تسمرت بالأرض ، ولا أقوى على التحرك مطلقاً ، وفكرت قليلاً وقلت : ليكن ، وسوف أعود بعد ساعتين وبعد أن ودعتني دخلت البيت دون أن تنتظر انصرافي ، وأغلقت الباب أمامي ، وأصبحت ثائراً وأخذت أنظر إلى باب الفناء المغلق ، وقد حدث كل شيء بسرعة البرق ، وفي الحقيقة مثل حلم .

وسرت ببطء وكنت قد تغير حالي تماماً ، فلم أهتم بما حولي حتى أنني لم أحس بذاتي مثل جسد بلا روح ، ومنذ تلك اللحظة لم أكن معيناً السابق ، فقد سلبتني تلك الفتاة كل عقلي وحواسي ، حتى أنني بعد أول لقاء بها لم تعد لي شهية قط للطعام ، وكنت قد خلدت ساعة إلى النوم وأنا في قمة الحسرة وكان الحظ وحده هو الذي يمكن أن يساعدي حتى أتحجج بموضوع السجادة ، فأذهب إلى بيتها بسهولة ، فإذا ساعدني الحظ بالفعل في أن تكون شيرين نفسها هي التي تفتح باب البيت ، ولكن الآن تمر فترة على أول لقاء ، وقد فهمت أن إدراك الآمال يتطلب الصبر والتروى ، وقد اضطررت لأن أصبر على تحقيق أملى .

وقد مر على زواج (مريم) عشرة أيام ، وكان قد عاد البيت إلى حالته الطبيعية ، ولكن مكان أختي كان واضحاً في البيت ، وكان غيابها محسوساً للغاية .

وقد ضقت ذرعًا بالبيت ، فاضطرت لأن أذهب إلى منزل العمّة (رباب ) حتى أكون قريبًا من (مريم) وعند العودة أقنعت نفسي بأنه فى النهاية سوف نجبر جميعًا على ترك بيت أبى ، ودخلت ثانية بهو المنزل فنادت على الأم وقالت : حبيبى معين تعالى فإننى أريدك ، فخفق قلبى على الفور ، فقد كانت نبرات صوت الأم مختلفة ، فقلت لنفسى : ماذا تريد الأم منى فى هذا الوقت ؟

ووقفت أمام باب الحجرة وسألت : نعم أتريدى منى شيئًا يا أمى .

فنظرت إلى وجهه وقالت : تعال يا ولدى ، فهناك موضوع يجب أن أحدثك فيه ، ودققت النظر فى أمى . فلم أتبين شيئًا من وجهها أخشاه ، ولكننى أحسست أن قلبى غير مفزوع بلا سبب .

وبفارغ الصبر دخلت غرفة والدتى ، واقتربت منها واتكأت على الجدار ، وشغلت بمجموعة مفاتيحى ، ونظرت حائرًا نحو المفاتيح ، ولعدة لحظات لم أسمع شيئًا سوى صوت رنين المفاتيح ، وكانت الأم مشغولة بإتمام بعض الأمور ، وعند رؤيتى توقفت وقالت ضاحكة :

حبيبى معين ، كنت قد قلت لأبيك أن يفاتحك فى موضوع (ماهرخ) ، والآن كنت أريد أن أعرف وجهة نظرك فى هذا الموضوع على الرغم من أننا قد أنهينا هذا الأمر منذ زمن مع خالتك .

ونظرت إلى وجه الأم ولم أنطق بكلمة .

وواصلت الأم الحديث : كنت أريد أن أعرف ، إن كنت موافقاً إن شاء الله يوم الخميس نذهب معاً إلى بيت خالتك .

وسألت متردداً لماذا نذهب ؟

فأجابت الأم : أقرأ الروضة<sup>(٢)</sup> - لك - لمدة ساعة كاملة .

وتسألني ثانية لماذا ؟ لخطبة ماهرخ ثانية .

وتمهلتي في الجلوس قليلاً ، واتكأت على الجدار بقوة وقلت : أنا بالفعل لا أريد الزواج يا أمي ، فسألت في نبرة حادة أتعني أنك لاتريد الزواج ؟ أجبت :

ما أعنيه أن ماهرخ مثل أختي ولا شأن لي بها .

وعندئذ تغير وجه الأم ، وصاحت : تعني بهذا الحديث أنك تعارض الزواج منها ؟

فأجبت : نعم مائة في المائة معارض .

وتورمت عروق رقبتها غضباً ، وصاحت وقالت : تكون محرماً علي ، وألعن اللبن الذي رضعته من صدري .

ولن أسمح لأية فتاة أن تدخل هذا البيت كعروس أبداً ، وقد ملأ صياح الأم فراغ الغرفة وأخذت تلعن ابنها غضباً منه .

فقلت بهدوء ، ليكن يا أمي فلو أردت الزواج يوماً ما فلن آتي بزواجي إلى هذا البيت مطلقاً .

فزاد صراخ الأم عند سماع هذا الكلام وقالت : ابن عاق وقد طال لسانك كثيراً ، ولكن الكلام النهائى ، إما ماهرخ وإلا فلا !

فطأطأت رأسى وقلت : كونى عادلة يا أمى . إذا إننى أريد أن أتزوج من الفتاة التى أحبها ؟ فثارت الأم وقالت : لاتظن أن من يتزوج من الأولاد والبنات يعيشون قصص العشق ؟ إن هذا العشق يأتى شيئاً فشيئاً ، واقتربت من الأم أكثر وأمسكت يديها وقلت بهدوء .

والدتى الحبيبة إننى أحب فتاة أخرى ، فشدت يديها بعنف منى وقالت : نعم لقد صدق ظنى ، فقد تغيرت شيئاً فشيئاً ، وبعد عدة أيام سوف أرى ( السيد معين ) مضطرب الحال .، قلت : ليس يا أمى العزيزة الموضوع كما تظنين .

فهزت الأم أصبع السبابة نحوى وقالت : معين ... قسمًا بالله الواحد الأحد ، ولم لم توافق بملء إرادتك على هذه الزيجة فلا أنا أملك ولا أنت ابنى ..

فخرجت من حجرة أمى فى حالة يرثى لها ، وتوجهت مباشر إلى حجرة أبى ، وكان مشغولاً بمحاسبة بعض المشترين ، وجلست بهدوء فى أحد الأركان بينما كنت أغلى من الداخل ، وأنهى أبى عمله وتوجه نحوى وسأل : هل غرقت سفنك ؟ فنظرت حولى فى الحجرة فمن حسن الحظ أن رضا لم يكن موجوداً فتوجهت نحو الأب وقلت : انظر يا أبى لقد ثارت الأم

فى ، إذ نادت اليوم على لتقول إما ماهرخ وإلا فلا ، فضحك  
الأب ساخرًا وقال هذه القصة قديمة ، فأثارنى هدوء أبى ، وقلت :  
دع المزاح جانبًا يا والدى ، وأرغب فى أن تحددوا مسئوليتى ،  
فليس لديكم طفل آخر تفكرون فى شأنه فقد تعبت من لعبة  
الغمضية ، هذه والآن فأنا حر ، وليست لدى مشكلة أخرى ،  
وسكت للحظات حتى أسمع وجهة نظر أبى ، فدخل رضا  
بالنرجيلة وكان خارج الحجرة ، ووضعها فوق مكتب الأب  
فحسدته لحظة وقلت فى نفسى هنيا لك يا رضا فليس هناك  
أحد يتدخل فى شئونك ، وأخذ يدخل النرجيلة ثم سعل  
وعندما توقف عن السعال قال : اطمئن : سأرسل العمة رباب إلى  
والدة تلك الفتاة

قال ما اسمها ؟

فأجبت على الفور : شيرين .. شيرين يا أبى وواصل الأب  
حديثه قائلاً : حتى يتحدث مع أم شيرين وسألت : ماذا نفعل مع  
أمى يا أبى ؟

وسعل الأب ثانية وقال : الليلة سوف أتحدث معها حديثًا  
مفصلاً ، فإذا رضيت كان بها ، وإذا جادلت ، لتفعل ما بدالها ،  
وأنا وأنت لسنا مذبذبين .

فقلت لنفسى : حسن لقد أراحنى حديث أبى ، وكأن أى شىء  
لم يحدث .

وسألت : متى سترسل يا والدى العمة رباب ؟ فضحك وقال :  
ليلة الخميس وقت مناسب .

قلت : حسن جداً لا أصاب يدك مكروه ، ونهضت من مكاني وقبلت يد أبي .

وبينما كان يضحك وضع يده على رأسي وقال : لماذا هذا الأمر ؟ فهذا عملي ، ولا بد أن ألبى مطالب ابني وهذا لا يحتاج إلى شكر منك ، فانهض ، وإذا جئت الحجرة أوجلست في ركن منها فلا تحزن ، وقد أشعرتني يده التي وضعها فوق رأسي بالهدوء والسكينة وقلت : سمعاً وطاعة يا والدي ، فأنا خادمك ، ولكن هناك موضوع آخر يجب أن أحدثك فيه.

سأل : ماذا هناك ؟ قلت : إنه يتعلق برضا ، فلو كان بالإمكان فقد ربيت رضا وجلاب ورعيتهما ، فملأت ضحكات الأب فراغ الحجرة من السعادة ، وتروى قليلاً ثم قال : اصبر عليّ حتى أنهى موضوعك أولاً ، وبعد ذلك أفكر فيهما .. أحسنت يابطل ويسعدني اهتمامك البالغ بالآخرين أيها الزاهد فافتربت عدة خطوات من والدي وقلت : إن كل ألقاب الدنيا جديرة بك وتستحقها أنت ، أما أنا فأحقر من أن أكون زاهداً .

فهز الأب رأسه مشياً على كلامي وقال : هذا كاف يا معين فقد أتخمتني ثناءً ومدحاً .

قلت : لا يا أبي أنت بالفعل صادق وحنون للغاية ، إنك لا تعوق سعادة الآخرين والحياة عندك لها قيمة ، وأنا دائماً أفتخر بك .



وسكت الأب لحظات ، حتى أنه لم يكن يُسمع سوى صوت  
الترجيلة ، وفكر قليلاً ثم قال : لقد انتهت هذه الأحاديث هل  
أخذت السجاد الذى كنت قد أوصيت عليه سكىنة هانم ؟

وضحكت وقلت : نعم ، لقد ذهبت هناك ياوالدى وأتيت  
وقد اضطررت لأن تستبدلها ، ووضعتها جميعاً داخل المخزن  
بجوار المكتب ، فنظر الأب إلى وجهى فى حنان وقال : إن  
الزواج الذى ذكرته يريح بالى . وتستطيع أن تدير العمل بمفردك ،  
فقد تعبت وينبغى أن أسافر بصحبة أمك إلى ( مشهد ) .

قلت : لك الحرية يا والدى ، فأنا شيئاً فشيئاً تلميذك الصغير ،  
وليحفظك الله لنا .

وبعد خمسة عشر يوماً من هذا الحديث الودى بينى وبين  
الأب ، أقيمت مراسم بسيطة لإنهاء عقد زواجى من شيرين ،  
وذلك بحضور العمدة رباب والأب فى منزل أسرتها ، وقد  
أرسلنى أبى مع شيرين لمدة عشرة أيام لزيارة مشهد المقدسة وذلك  
تعويضاً لنا عن مراسم الزواج البسيطة .

ويا له من سفر جميل ، لايمكن أن ينسى بصحبة زوجة حنون  
نحبية ، هى ملاك فى هيئة إنسان وأحسست أن ملائكة الله كانت  
تُغنى فرحاً من أجل سعادتى وسعادة عروسى الجميلة ، وبعد  
عشرة أيام من زيارة مدينة مشهد والسياحة فيها تركناها وتوجهنا  
إلى ( يزد ) .



وربما بعد الغيبة عشرة أيام ، يكون فى هذا الابتعاد المبرر الذى يشفع لى عند الأم من أجل استقبال عروسها ، ولن أنسى مطلقاً تلك اللحظات التى عدنا فيها إلى المنزل ، وعند رؤية الأم لشيرين هكذا ثارت ثورة عارمة ، وراحت تشتم دون أن تشعر ، لدرجة أن هذه الشتائم واللعنات قد سمع بها كل الجيران فى الحى ، وأخذ الجميع يسأل ماذا حدث ؟

فخرجت أنا وشيرين من المنزل وجلسنا فى ركن معاً .

فخرجت مهرى من البيت ووقفت أمام البيت وأخذت تبكى وأخذت جاراتنا يسترقن السمع أمام الباب ، ويتهامسن وكان هناك طفلان صغيران ينزلقان من مسافة قريبة لنا .

ولم نجروء على أن ندخل البيت خوفاً من أمى ، وأخذت شيرين تبكى ، فرق قلبى لرؤية تلك العينين الخضراوين الجميلتين اللتين راحتا تبكيان مثل مطر نازل من سحابة ، وأغلقت الأم الباب فى وجهينا بشكل عصبى وثنائى .

ونظرت إلى شيرين ، فرأيت أنها غارقة فى بحر من الحزن وراحت تبكى بصوت عال قائلة : لماذا لم ترض الأم ، إننى لم أظن أنها بهذه العصبية .

فهدأت من روعها وقلت إن أبى سوف يضع الأمور فى نصابها ، فلا تقلقى .

و كنت خجلاً من تصرف أمى وأحسست بالاحتقار حتى أن جاراتنا رُحْن ينظرن إلينا بشكل عجيب وكأننا ارتكبنا جرماً عظيماً .

ونظرت إلى شيرين وقلت : سامحيني ، فلم أر أمى بهذا الحالة الغاضبة أبداً ، فقالت شيرين مكرهة لا بأس افعل كل ماتريده وشيئاً فشيئاً سوف تهدأ .

وبينما كانت تقول شيرين هذه الجمل ، كانت قطرات الدمع تتساقط من عينيها ، فأشعل هذا المنظر النار فى قلبى ، ولكن فى تلك اللحظات لم يكن لى حيلة سوى الصبر ، وكانت الشمس قد نشرت أشعتها الحارة فوق كل الحى ، وكنا قد انتظرنا فى الظل أمام مدخل البيت .

وكانت اللحظات تمر ثقيلة ، وسرعان ما بدا علينا التعب والنصب وقد انتظرنا على هذا النحو ما يقرب من ساعة كاملة ، وفى النهاية وصل الأب حيث كان يحمل أكياس الفاكهة فى يده ، وكان ينظر إلى أنا وشيرين فى حالة اضطراب ، فتقدمت وألقيت السلام ، فأجاب الأب سلامى متشككاً وسأل : ماذا حدث يابنى ؟

ونفضت شيرين من مكانها واتجهت إلى الأب وألقت السلام وسأل الأب ثانية : لماذا تجلسان بالخارج ؟

قلت لاشيء ياوالدى ، فقط أمى غاضبة بعض الشيء .  
وقد انتظرنا مجيئك ، فوضع الأب غاضباً أكياس الفاكهة فوق  
المنصة ، وطرق الباب بشاكوشه بقوة .

وفتحت مهرى الباب ، وقالت : أهلاً يا والدى .  
فأزاح مهرى من طريقه وقال : السلام وسُـمُ الأفعى ، والدتك  
ماذا فعلت .. ولماذا تتصرف هكذا مع الأولاد ؟ وخوفاً من أن  
يتشاجر مع الأم ، اعترضت طريق أبى وقلت : أستحلفك بالله  
يا والدى لاتزيد الأمور سوءاً فلو أردت اليوم أن تتحدث مع أمى  
فى هذ الشأن ، فتحدث معها جانباً .  
وأزاح أبى يدى وثار قائلاً : أنا لم أمت بعد حتى يطرد ابنى  
وعروسه .

والأم التى كانت تعلم أن زوجها يعانى من مرض ضغط الدم ،  
لم تخرج من غرفتها مع سماعها لتهديداته وتوعداته التى انتهت  
بهذا الغضب .

فحملت حقيبة السفر ، وذهبت أنا وشيرين مباشرة إلى  
الغرفة ، وقد سمع صوت الأب المصحوب بضجيج الأم فى  
البيت ولكن شيئاً فشيئاً ساد السكون به ، وناديت مهرى وقلت :  
أختى الحبيبة إن شيرين غريبة عنا ، فلو احتاجت شيئاً ، أحضره  
إليها ، وهزت مهرى رأسها بينما كانت تبكى وقالت : سمعاً  
وطاعة يا أخى استرح بالاً فلن أغضب زوجة أخى .

وقبلت جبين مهرى وقلت : من الآن فصاعداً ، كل أملى أن  
تكون شيرين أختاً طيبة لك .

فنظرت إلى بحنو وقالت : أخى .. سوف يتحقق أملك .

وكانت شيرين قد انتهت من مشاهدة حجرتى .

وكانت تنظر إلى كل ركن فيها .

وسألت : لماذا أتيت بكل هذه الكتب ؟

فضحكت وقلت : هؤلاء خير أصدقاء فى أيام وحدتى فأنا  
أقضى معظم أوقات فراغى معها ، وبعضها كتب المدرسة  
الثانوية .

قالت : ماهذا السجاد الجميل الذى بسطته فى الحجرة .

قلت : هل نسيت أننى تاجر سجاد ؟

ونظرت إلى شيرين فى حنان وقالت : عفواً سيدى تاجر  
السجاد ، وسكتت لحظة وقالت : كم كلف الإعداد لزواجى ؟  
وأين يمكن أن أضع حاجياتى ؟ فلا أظن أن أمك سوف تسمح  
بأن أحضرها إلى هذا المنزل .

وفكرت ثم قلت : استريحى بالأفلن نمكث هنا كثيراً ومن  
الغد سوف نذهب إلى بيت قريب من عمل أبى .

وقاطعتنى شيرين وقالت : لو صبرت قليلاً لرضيت أمك ،  
وما حدثت كل هذه المشاكل ، ولماذا لم تتزوج ابنة خالتك ؟  
قلت : وهل تركتنى عيناك الساحرتان لأن أفعل ذلك ؟ وضحكت  
ضحكة جميلة ، وسعدت بمشاهدة ضحكتها ، ويبدو أنها كانت  
قد نسيت بسرعة اعتراضات أمى ، أو ربما كانت تتظاهر  
بنسيانها .

ونظرت إلى ثانية وقالت : حاول يا معين أن تكسب قلب  
أمك ، وليست والدتك مذنبه ، إذ إن كل ما فى الأمر أن والدتك  
غاضبة بسبب الوعد الذى كانت قد أعطته لخالتك .

وقلت معترضاً : أظن أن الذنب ذنبى ؟ قالت : لا أقول إن  
الذنب ذنبك ، ولكن كان ينبغى أن ترضى والدتك بالصبر  
والتروى .

فضحكت وقلت : لنفترض أننا أصبحنا مديونين ، فيجب  
على عندئذ أن أصبر حتى ترضى أمى ومن ثم سوف أتزوج وأنا  
شيخ ممسكاً بعصاى داخل الحجلة .

وملأ الصوت الضاحك لشيرين فراغ الحجرة وسُرت إلى  
أقصى حد عند رؤية وجهها الضاحك ، وطُرق الباب عدة  
طرقات ، ففتحته ، فرأيت أنها (مهرى) ، وكانت الطفلة تحمل  
طاولة زاخرة بأنواع الطعام ، فأخذتها منها ، ودعوتها إلينا بإصرار

أن تدخل لتشاركنا الطعام ولأول مرة احتضنت مهرى شيرين وقبلتها ، وهنأت العروس ، فشكرت شيرين بتواضع صنيع مهرى ، وقالت : حبيبتي مهرى لماذا أتعبت نفسك ؟

فأجابت مهرى : الأمر لكما يا زوجة الأخ ، وأنا أساساً لم أتعب نفسي قط .

فذهبت شيرين إلى حقيبة سفرها ، ووضعت أمام مهرى الهدايا التى كانت قد اشترتها لأمها ولنفسها وقالت : هذا شىء متواضع .

فضحكت مهرى وقالت : لا أصاب يدك مكروه .  
لقد أتعبتك .

لقد سعدت من العلاقة الحميمة لزوجتى وأختى ، وجلست جانباً حتى أهينى الفرصة أكثر لكى تتعارف كل منهما على الأخرى ، إذ إن وجود مهرى فى البيت سوف يجعلنى مستريح البال تجاه شيرين ، وقد تهيأت لى الفرصة حتى لا أكون قلقاً فى غيابى على زوجتى ، وقد كنت طول السفر فى غاية القلق من أن تؤذى والدتى شيرين بلسانها فى غيابى ، مع حسن النية ، الذى كان فى سلوك مهرى فقد استرحت بالاً ، إذ إن شيرين كان يمكنها أن تقضى معها أغلب أوقاتها ، وقد قضينا ما يقرب من شهر أو شهرين فى مشاكل مع الأم فى بيت أبى . وعلى الرغم

من أن مضايقات أمي كانت تؤذيني إلى حد كبير ، إلا أنني بمساعدة أبي اشتريت بيتاً صغيراً بعيداً عن مقر سكننا ونقلت أثاث شيرين هناك ، وكانت قد بدأت اللحظات الحلوة بدون مضايقات الحياة شيئاً فشيئاً ، وعشت أنا وشيرين جنباً إلى جنب بدون أية مشاكل ، ولكن هذا الهدوء لم يكن بهذا المعنى ، أنني تركت أسرة أبي تماماً ، ولم أشغل نفس بحياة أمي ومشاكلها ، بل كنت أحاول دائماً أن أوثق عرى الروابط بين أسرتي وزوجتي ، وكنت أتدفع بأية حجة وأشتري هدية لكي نذهب بصحبة شيرين لرؤية الأم ومهري ، على الرغم من أن عبوس أمي كان يفسد متعة اللقاء ، ولكنني لم أنس دائماً أن أكون ذلك الابن الذي يحترم والديه ، لأنني كنت أدرك أن كل شخص إذا احترم أحداً فهو يحترم ذاته .

أما والدتي فكان لها شأن آخر ، وكان عليّ أن أتفهم أخلاق أمي وإدراكها الإدراك الصحيح لهذه الحقيقة ومن حسن الحظ أن تحمل هذه الأحداث كان باعثاً لأن ترضى عني أمي وترضى كذلك عن عروسي شيئاً فشيئاً .

ولعل القدر لم يرغب في أن نرى وجه السعادة في بداية حياتنا ، ولعل كذلك لعبة المصير قد كتبت علينا شيئاً آخر ، وذات يوم عدت عصرًا إلى البيت ، وكان الجو به ضباب وخانقًا للقلب ، ونظرت في اضطراب إلى حال شيرين وسألت بسرعة ، أحدث



شيء ؟ فتجاوزت حزنها وقالت : كانت أمك هنا ، وبعد أن  
جلست طويلاً وتحدث كثيراً سألت : أصحيح يا شيرين ما تشيعه  
النساء من أنك عقيم ؟

فقلت متعجبة ، ما هذا الحديث فأنا مازلت سيدة شابة لم يمر  
على زواجي أكثر من عامين ، وحتى الآن لم أذهب إلى دكتور  
حتى أعرف إن كنت عقيماً أم لا ، فضحكت الأم نحوى وقالت :  
ألف ما شاء الله إن ابنتي مريم تحمل ابنها وأنت تقريباً تزوجت  
في الوقت نفسه معها .

فرددت عليها : حسن إن هذا ليس بيدى وكل شيء بأمر الله .  
وبعد أن سمعت حديثي ، تأوهت وقالت : لا أعلم أى نصيب  
لابنى وأية قسمة هذه ؟ وإن ما أعلمه فقط أن هذا ظلم له .

وبعد أن وقعت هذه الحادثة فى ذلك اليوم ( الحوار مع الأم )  
ذهبت شيرين إلى غرفة أخرى ، وكان صوت بكائها يعذب  
قلبي ، وقد أثر هذا على نفسيته ، فتوجهت إليها وحنوت  
عليها وقلت : انهضى ودعك من هذه الأوهام وسوف آخذ لك  
موعداً مع الدكتور حتى أثبت لكل الأسرة أن زوجتى قوية وسالمة .  
إلى حد كبير ، فأنا لا أطيق صبراً على بكاء الأطفال .

فنظرت إلى شيرين نظرة كلها تفاؤل ، ونهضت من مكانها  
فقلت لها أن تغسل وجهها وأن تجمل هندامها ، ومنذ اللحظة

التي خرجت فيها من الغرفة ، قطعت عهداً على نفسى فى حالة لو كانت شيرين عقيقاً ، أن أغادر مدينة (يزد) إلى الأبد ، وأن أذهب إلى مدينة أخرى .

وغداة ذلك اليوم ذهبنا بصحبة شيرين إلى أفضل طبيب نساء وتوليد فى مدينة يزد .

وقد مرت أربعة شهور على أول زيارة لنا لعيادة الدكتور ، وفى النهاية هز الدكتور منصورى رأسه آسفاً بينما راح يعيد وضع نظارته فوق أنفه .

وقال : لقد فعلنا كل مايجب علينا ، ولكن للأسف ، فإن كل التجارب تؤكد على عدم قدرة زوجتك على الحمل ، حتى أننا بحثنا أضعف الاحتمالات فى هذا الشأن ، ولكن لاحيلة لنا سوى قول الحقيقة وهى للأسف إن زوجتك ١٠٠ ٪ عقيم ، وقد بذل فى هذا الشأن كل عمل من الناحية الطبية ، إلا أن تحدث معجزة طبية .

وعندما سمعت شيرين هذه الحقيقة المرة بهتت وشحب لونها ، وكأن روحها فصلت عن جسدها وهى لم تتحدث أساساً ، ولم تبك أيضاً ، وانزوت كتمثال فى ركن ، وتبدل حالها وكأنها ليست تلك المرأة شيرين التى كانت تضحك دوماً ، وكان داخلى يغلى من الأسى والحزن ، وكنت قلقاً على شيرين ، وبدا اليأس

مرسوماً على وجهها إلى أقصى حد ، وكأن ثقتها بي قد اهتزت ،  
وذات يوم قالت لي في صوت أشبه بالأنين : ما هو دورى ؟

فارتعدت عندما سمعت هذا الحديث وقلت : ما هذا الحديث  
الذى تتحدثينه وكأن استمرار حياتى وحياتك متوقف على وجود  
طفل ، لقد قلت قبل ذلك مراراً ، أنا لا أهتم بالأطفال فإن لم  
تصدقنى أكتب ذلك وأوقع عليه .

فانهمر دمعها الذى كان قد حبسته لأيام ، ومن كثرة البكاء  
سقطت مغشياً عليها ، فساد الحزن أرجاء المنزل ، وشيئاً فشيئاً  
ذبل وجه شيرين الجميل ، ولم تعد تختلط بأى شخص ، ولا  
ترغب فى رؤية أية امرأة .

حتى أنه فى اليوم الذى جاءت فيه مهرى للاطمئنان عليها ،  
فقد احتجبت عنها وذهبت إلى غرفة أخرى ، والموضوع الآخر  
الذى كان يؤلمنى أكثر ، من هذا هو وجه أبى القلق الذى كان يحز  
فى نفسى وكلما أقسمت له أننى أساساً غير قلق من هذا الأمر لم  
يكن يصدقنى ، وكان دائماً ينكأ جراحى وذات يوم كانت الحجرة  
فارغة ، ولم يكن يجلس بها أحد سواى ، وفكرت كثيراً ، فكان  
السيبل الوحيد للتخلص من هذه المشكلات هو مغادرة (يزد) .

وبهذا السفر ستقتنع شيرين أنه لم يعد هناك أى خطر يهددها  
من ناحيتى ، ولأول مرة بعد فترة طويلة رأيت بريق الأمل فى

عينيها ، وبعد التشاور معها وجدنا أن أصفهان أنسب مكان للعيش فيها . وبعد ذلك أقنعت والدي أن أفضل طريقة لاستمرار حياتي هي أن أنفصل عنه ، وقد وافق أبي الذي كان يعلم بمدى حبي لزوجتي وحياتي حتى أنه يساعدني في هذا الأمر ، وسرعان ما استطعت بمساعدة أبي أن أتولى الأمور بنفسى وأن أقيم في أصفهان ، وأن تسير الأمور كلها على مايرام ، وشيئاً فشيئاً استقامت لى الحياة هناك ، وكان بيتى الذى اشتريته فى أصفهان يتمتع بمساحة خضراء جميلة .

وكان بالبيت قطعتان مستطيلتان من الأرض يحيط بهما فناء زاخر بأشجار الفاكهة ، وحوض صغير فى وسطه كانت به النوافير التى يتساقط منها رذاذ الماء .

وكان هناك باب زجاجى كبير على هذا الفناء ، وكان يقع بالقرب من منزلنا مسجد كبير وجميل والذى كنت أنا وشرين ننعمة بنعمة اتساعه فى أغلب الليالى .

وكان مشروع السجاد الصغير فى بيتى أمراً جيداً لشغل زوجتى ، وهكذا كانت تمر الحياة فى أصفهان حتى أنه لم يكن يحس نقص الأطفال فى البيت ، وكان أمر تجارة السجاد ورواجها باعثاً على تعجبى ، وفى غضون عامين أصبحت أنجح بائع للسجاد فى أصفهان ، وكنت فى ذلك الوقت أقضى فى

بعض الأوقات عدة ساعات مع القائم على أمر (مسجد النبي)  
والذى كان رجلاً متديناً وحسن الخلق وكان يدعى الحاج كريم ،  
وكنت أحبه كثيراً ، بل وأفضل لقاءه عن أى شىء آخر ، وشيئاً  
فشيئاً تعاونت معه ، ووفقنا فى أن نناقش شئون المحتاجين  
الشرفاء بشكل فعلى ، وكنت أحاول من جانب آخر أن أبعد  
شيرين عن العمل حتى نتبنى فتاة من الملجأ .



## الفصل الرابع

وكان قد مر على إقامتنا فى مدينة أصفهان أربعة أعوام ،  
و كنت لم أستطع أن أقنع شيرين بتبنى طفل بلا عائل وفى الشتاء  
الرابع سادت المدينة برودة شديدة حيث غطت السحب الداكنة  
سماء المدينة ، وكانت البرودة قارسة ، وشيئاً فشيئاً هداً الجو ثم  
هبّت ريح باردة أعقبها سقوط ثلج غزير .

وسرت فى الفناء عندما سمعت آذان الصبح ، وكان ماء  
الحوض متجمداً ، فعزمت على أن أعود إلى الحجرة ، وفجأة  
توقفت عندما سمعت صوت طرقات متوالية على باب الفناء  
فقلت لنفسي : من سيأتينى فى وقت السحر هذا ؟ فذهبت إلى  
باب الفناء ، وكانت الأرض لزجة تماماً ، وكان يمكن أن أنزلق  
فوق الجليد المتجمد ، فسألت من هناك ؟ فعرفت أنه صوت الحاج  
كريم حيث كان يقول : افتح الباب يامعين ، ففتحت الباب على  
الفور .

ومن شدة البرودة كان الحاج يضغط بكليتا يديه معاً ، ورددت  
السلام ودعوته إلى المنزل .



قلت : خير يا حاج إن شاء الله أهنأك مشكلة ؟ وقال الحاج كريم بينما راح يشد ياقة معطفه على رقبته : إني فى خجل فقد أزعجتك ؟ !

لقد استيقظت من النوم بالأمس فى حوالى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل على صوت امرأة كانت تطرق باب المنزل وكانت تبكى وترجونى أن آويها ، وكانت تقول : إني غريبة وليس لى أحد فى أصفهان ، وقد أثرت فى كثيراً واضطرت أن آخذها إلى مقر صلاة السيدات ، وظلت تبكى حتى آذان الصبح ، وكأنها قد فقدت عزيزاً لديها .

وكانت المسكينة ترتعد حتى آذان الصبح من شدة البرودة وتطلب الحماية ، ووقت الصلاة وجدت أن الحاجة رضاي التى كانت قد جاءت لإقامة الصلاة فى المسجد قد أخبرتنى أن حالة تلك المرأة سيئة جداً ، وقد أحضرتها مضطراً إليك حتى تنظر فى أمرها ، فأنا مشغول بالمسجد ، وفقير ، فلو تعمل معروفاً خذها فى بيتك ، وبمجرد سماع هذه الحادثة ، عجبت شد العجب وقلت لك الطاعة ولتخبر السيدة على الفور وأحضرها إلى البيت .

وكان الجو متقلباً بين وضوح الرؤية والظلمة ، فنظرت إلى الطريق فرأيت شكل امرأتين ترتديان الحجاب وكان يبعد عنهما قليلاً الحاج كريم فى الناحية الأخرى من الطريق . وكانت

إحداهما تتكىء على الأخرى وكأنها لاتقوى على الوقوف ،  
فناديت على شيرين ، إذ كان يجب أن تساعد تلك المرأة الغريبة  
على وجه السرعة .

ودخلت الحاجة رضايى (زوجة الحاج كريم) الفناء بينما  
كانت تمسك بامرأة شابة تحت إبطها ، فألقت المرأة الغريبة السلام  
فى صوت ضعيف ، فأنت شيرين مسرعة لمساعدتهما وأخذتا  
المرأة الشابة إلى غرفة ، وأنامتاها فى الفراش وكان وجه تلك  
المرأة يبدو مكدوداً ومتعباً على الرغم من أنها كانت شابة ،  
وجعلت الحاج كريم يذهب إلى المسجد بينما كنت أنا نفسى  
قد ذهبت إلى الطبيب محمدى على الفور إذ كان من الجيران .

وقد طرقت باب منزل الدكتور محمدى عدة طرقات ، ولم تمر  
لحظات حتى فتح الطبيب شبه النائم باب المنزل ، ووضحت  
سبب مجيئى للدكتور بإيجاز ، فدعانى للدخول فأثرت أن أنتظره  
أمام باب الفناء ، وكنت أرتعد من شدة البرودة على الرغم من  
أننى قد ارتديت ملابس ثقيلة من رأسى حتى أخمص قدمى .

ومن حسن حظنا أن الطبيب كان من الجيران ، ففى هذا  
الوقت من السحر من الصعب العثور على طبيب ، خاصة وأننى  
أعرفه منذ عدة سنوات ، وتقريباً يمكن أن أقول إنه كان يعد  
طبيب المحلة ، وكانت السيدات على وجه الخصوص يعتقدن أنه  
حسن الفأل ، وربما خلقه الطيب وطبيعته الحسنة قد جسدا هذا

التصور، وسرعان ما ارتدى الطبيب الشال والقبعة وخرج من باب الفناء حاملاً في يده حقيبة سوداء اللون .

و كنت قد شرحت للطبيب واقعة المرأة الغريبة الطريفة فهز رأسه متأسفاً وقال : أكثر من امرأة قد تجمدت في هذا الفصل ؟ لدرجة أن التفكير في هذا الشأن يجعل بدن الإنسان يقشعر ، ومن حسن حظ هذه المرأة أن قابلها الحاج كريم فهذا الرجل المسن المؤمن لا يضمن بمساعدة قط على المحتاجين جزاء الله خيراً .

وقد شغلت الطبيب بالحديث طوال الطريق ، وكنا نعتقد بأنه لو لم تلجأ هذه المرأة لنا في منتصف الليل لكانت قد تجمدت من البرد ، وفي النهاية وصلنا إلى المنزل ودخلنا غرفة المريضة قائلين يا الله ، فطلب الطبيب أن نخرج من الغرفة جميعاً الغرفة تماماً وودعتنا (الحاجة رضايى) . وتوجهت إلى منزلها ، وكانت هذه المرأة سيدة محسنة ، وكانت تقضى أغلب أوقاتها في وجوه الخير ، وكانت تقضى أغلب أوقاتها مع نساء المحلة للمشورة ، وكانت تقوم بنفسها بالمساعدة ، وكانت هذه السيدة تنظر في حال الأسر الفقيرة التي ليس لها عائل ، وتساعد الفتيات الفقيرات سيئات الحظ وتعود المرضى ، فكانت هذه الخدمات القيمة عمل هذه السيدة المحسنة ، فتوجهت مباشرة إلى المطبخ فرأيت شيرين مشغولة بإعداد الفطار ، فقلت لها : قواك الله ، وتناولت لقمة خبز ووضعتها بفمى ، فنظرت إلى وقالت :

إنى قلقه للغاية يامعين من أجل هذه المرأة ، إن حرارتها عالية ،  
ويُفضل أن نرعاها عدة أيام حتى يتبين أمرها .

ووافقت على رأيها وهزرت رأسى مؤيداً قولها ، وبلعت لقمة  
العيش التى كنت مشغولاً بأكلها وقلت : أحسنت .. إنك إمراة  
رحيمة وأنا سأفتخر دوماً بأخلاقك الطيبة .

وكان يُسمع صوت المرأة الذى كان أقرب إلى الأنين - من  
الغرفة التى كانت مجاورة للمطبخ فدعوت لها وقلت : ياإلهى  
خذ بيديها .

ولم تمر ربع ساعة حتى نادانى الطبيب ، فطرقت الباب  
ودخلت الغرفة ، فشعرت المرأة بالخجل عند رؤيتى ، وقد  
جلست على الفراش نصف ساعة ناهضة ، فأعطانى الدكتور  
الروشتة وقال : إنها مصابة بالبرد ، وينبغى أن تستريح ثلاثة أو  
أربعة أيام ، فلو كان بإمكانك أن تعطيها الأدوية من الآن ،  
فسوف تؤثر على تحسنها إلى حد كبير ، قلت لا تقلق أصلاً  
يادكتور فسوف أرهاها أنا وزوجتى وبمجرد أن أوصلك سوف  
أعطيها الدواء .

وبمجرد أن وضع الدكتور حاجياته فى حقيبة اليد ، قال : أين  
الطريق فأنا ذاهب بنفسى ، فأعطيت الطبيب أجره ، ولكنه امتنع  
عن أخذه ، وقال خارج الغرفة : إن زكاة عملى فى هذه المواقف

ألسنا مسلمين ؟ فوضعت النقود فى جيبى خجلاً من نية الطبيب  
الخالصة ، وودعته حتى خرج .

ورأيت عند خروجى من المنزل أن شیرين قد ذهبت إلى غرفة  
المرأة حاملة طاولة الفطار ، وبمجرد أن رأيتهما تحدث غمرتنى  
السعادة ، إذ إنها منذ فترة طويلة لم يكن لها عمل سوى الإشراف  
على السجاد ، وكان من الضرورى لها أن تكون بصحبة امرأة ،  
والآن فقد حقق الله لها هذا الأمر ، وأما عن شكل تلك المرأة فقد  
كانت من الناحية الظاهرية تشبه إلى حد كبير شیرين ، وربما لو  
كانت تجلس فى وضع أفضل بجوار شیرين لبدا أنهما شقيقتان ،  
والمسألة التى كانت تقلقنى أكثر من أى شىء آخر هى لماذا لجأت  
تلك المرأة الشابة الجميلة إلى المسجد فى منتصف إحدى الليالى  
الباردة وحيدة لا تحمل إلا حقيبة يد ، وكان من المسلم به أنها لم  
تكن من أهل أصفهان ، وربما أنها كانت من أهل شیراز أو  
ضواحيها ، وكان ينبغى أن نصبر حتى تشفى فربما تبوح بسر هذا  
الأمر .

وكانت لهجة المرأة تدل على أنها من أهل فارس ، وكان هذا  
واضحاً للغاية ، وكانت عناية شیرين الشديدة بها قد أثمرت  
ثمارها ، وبعد ثلاثة أيام بلياليها ، كانت تضحك شیرين راضية  
وقالت : الحمد لله إن حالتها أفضل وقد انتظمت حرارتها تماماً ،  
وأظن أنها بعد يوم أو يومين سوف تتحسن حالتها تماماً .

وسألت : ألم تعرفى ما اسمها ؟

وفكرت شيرين قليلاً وقالت : لماذا سألتها اليوم صدفة هذا السؤال فردت وكانت تبكى : اسمى بهار .

وقلت متردداً : بهار اسم جميل ، وما زحت شيرين حبيبتى إن مجيء بهار فى فصل الشتاء ينبغى أن يكون فالاً حسناً .

وأدامت شيرين النظر وقالت : إن فى سلوك هذه المرأة نجابة ووقاراً خاصين ، ويجب أن تكون من أسرة محترمة إذ إن طريقة حديثها تختلف عن النسوة اللائى هن من أصول شعبية وواضح أنها امرأة متعلمة ، وكنت قلقاً للغاية عندما سمعت هذا الموضوع .

وقلت لنفسى : حتماً أنها ارتكبت مصيبة جعلتها شريفة المدن، وعندما سمعت الموضوعات التى قالتها شيرين ، اشتقت أكثر من ذى قبل حتى أعرف سر (بهار) ، وكان لابد من مساعدتها حتى نعرف تفاصيل مشكلتها .

قلت : ألم تسألى هل لها أحد فى هذه المدينة أم لا ؟ فقالت شيرين مؤكدة ، لا .. لا لأظن أن لها أحداً فى أصفهان ، فلو كان لها أحد لكانت أخبرته بوجودها قلت : وينبغى على كلينا أن نساعدتها بقدر ما نستطيع وأغرورقت عينا شيرين الجميلتان بالدمع وقالت : لا أعرف عندما أنظر إلى وجه بهار أشعر



بوحدتى وغربتى ، وأحس تجاهها إحساساً عجيباً وكأنها أختى ،  
وكأننى قد عشت معها سنوات طويلاً .

ونظرت طويلاً نحو وجه شیرین فمرر هذا حلقى ، فجففت  
الدمع الذى كان يتساقط ، فقالت شیرین فى صوت محبب : لو  
وافقتنى على أن نرعى هذه المرأة عندنا ، فأثار هذا عجبى ، وكأنها  
أصبحت مسلووبة الإرادة أمام تصرفاتها ، فكانت تتحدث بثبات  
دون تردد .

وأجبت عليها : إن وجود بهار فى بيتنا مثل وجود مهرى ،  
واعتبرتها إحدى شقيقاتى وقد جاءت إليك ، ومن ناحيتى فلست  
قلقاً من الوحدة مثلك ، وإننى أتولى أمورى ببال مستريح .

وفى صباح اليوم الرابع لإقامة بهار فى بيتنا ، نادت شیرین  
على فى قلق وقالت : يامعين أسرع ، تعال ، فذهبت مسرعاً  
فرايت متعجباً أن بهار ترتدى ملابسها وتريد الرحيل .

وسألت شیرین غير مصدق ، ألم تفهمى منها إلى أين تريد أن  
تذهب ، فأجابت مغتمة ، تقول إنى ذاهبة إلى حال سبيلى ،  
فارتديت ملابسى على الفور ، وأتيت إلى البهو فوجدت أن بهار  
تريد الرحيل بينما مازال لونها ووجهها شاحباً فوقفت فى  
مواجهتى أنا وشیرین وقالت فى صوت حزين : عفواً لقد  
أزعجتكما ، ولهذا الأمر فإننى فى قمة الخجل منكما ، وكنت



أريد ضمن شكر كما على إتعابكما أن أعفيكم من هذه المتاعب ،  
وكانت نبرات صوت بهار حزينة إلى الحد أننى قد بكيت دون أن  
أدرى ، عفواً يا أختى أوجد لك أحد فى أصفهان؟

فنظرت إلى حقيية يدها وقالت : لا أنا وحيدة وليس لى أحد  
فى كل أنحاء الدنيا ، والوحيد ملجؤه إلى الله وملاذه ، وفجأة  
تقدمت شيرين التى كانت تقف ساكنة وهادئة والدموع تتساقط  
من عينيها وقالت : بهار هانم أنا أيضاً غريبة ووحيدة فلو ترغبن  
فإنى أراك كأخت لنا .

فألقت بهار نظرة مفعمة بالشكر على شيرين وقالت : أنتم  
طيبون ، ولكننى أمام كل هذه العظمة حقيرة ولا أمثل شيئاً ،  
وعندما لا أستطيع أن أرد جميل محبتكم كيف يمكن أن أكون  
متطفلة عليكم ؟

فقاطعت حديثها وقلت : لا ينبغي أن تنسى أننا جميعاً أخوة  
وأخوات فى الدين .

وبالنسبة لزوجتى فهى غريبة أيضاً وأنا أغلب أوقاتي خارج  
المنزل ، ويمكن أن تكونا مؤنستين جيدتين لبعضكما ، وسأسعى  
أن أجد لكما عملاً ، حتى تقفى على قدمك ويضايقنا أن يكون  
البيت بهذا الاتساع ، وأظن أنه يكفى ثلاثة أشخاص ، فتأوهت  
بهار ، ومسحت طرف حجابها الناعم ذى الألوان وقالت :

أثشقون فيَّ بدون معرفة سابقة ، لكي أعيش معكم ؟ إنني أشكركم ، ولكن قبل أن ألبى دعوتكم في البقاء معكم لأبد أن أحكى قصة حياتي بالتفصيل لأخي وأختي الودودين حتى أكون بمثابة الخادم عندكم .

ولكن قبل أن تستمعوا إلى أحداث قصتي ينبغي أن تعدوني أن لا تبوحوا بسرى ، وكانت بهار تتحدث بصدق إلى حد إنني وشيرين قد استسلمنا تماماً متأثراً بحديثها ، وبدون أن نعلم ماذا تريد أن تقول لنا ، فقد وعدناها ألا نبوح بسرها ، وتقدمت شيرين وأخذت منها حقيبتها ، وساعدتها حتى تعود ثانية إلى غرفتها .

ولم تكن لبهار القدرة ، إذ إن أثر الحزن العميق المقترن بالضعف بعد مرضها قد سلبها القدرة على التحدث ، وطلبت منها أن ترجئ الحديث عن حياتها إلى يوم آخر ، إذ إن حالتها لم تكن مناسبة للحديث .

وعندما نهضت لتذهب إلى غرفتها قالت متممة : أنتم أعدتم لى الأمل المفقود ، إذ إنني فقدت الثقة في جميع الناس لأسباب خاصة ، ولكن .. حسن فقد صدقت ثانية أن الجميع ليسوا بهذا السوء . وأن الأفراد يختلفون عن بعضهم البعض ، وإذا ماتفحصنا الناس داخل هذه الدنيا وجدنا أن البعض مثل الذئاب وهم يستمتعون بعذاب الآخرين ، في مقابل أناس آخرين

يعتبرون أن المساعدة للجميع وظيفه لهم ومسئولية تقع على عاتقهم ، وكان كلام بهار الزاخر بالمعنى قد أدهشنا ، ولم يكن لكلامها جواب عليه سوى السكوت .

فقلت لنفسي : إن صدر هذه المرأة ملىء بالآلام والمعاناة وهى محتاجة للحظات حتى تستعيد توازنها ، وينبغى علينا أن نوفر لها هذه الفرصة حتى تتخلص من عقدها . ولو اضطررت أن تتحمل وحدها الحمل الثقيل لأحزانها ، فمن المسلم به أنها لن تستطيع أن تستمر طويلاً ، ولكانت قد لقيت مصيراً مجهولاً .

وكان قد مر على إقامة بهار فى منزلنا خمسة أيام ، وكانت ساعة الحائط تشير إلى الثانية بعد الظهر ، وقد خيم السكون والملل على الغرفة ، حتى أن السحابة السوداء التى غطت كل السماء قد لقي بيتنا منها نصيب .

وكانت بهار ذات الوقار الخاص قد غطت نفسها برداء أسمر ، وقد أوصلت طرف ردائها حتى جبينها ، فبدت ذات حال عجيب .

وكانت قد أحاطت هالة من الحزن واليأس بوجهها البرئ وأخذت تنظر بإمعان إلى نقطة معينة من الغرفة وكأن شخصاً كان يخاطبها من تلك الزاوية ، وعندما رأت بهار أننى وشيرين فى شوق لأحاديثها بدأت شيئاً فشيئاً فى الحديث ، بينما كانت تحاول ألا تخلط بين دمعها وكلامها .

وهكذا بدأت أحداث قصة حياتها وقالت : بناء على قول أمى  
فى منتصف ليلة سوداء على ضوء نور خافت يضىء على  
استحياء فى بيت صغير وحقيق .

وكان والدى مواطناً فقيراً من توابع فارس ، أى المواطن الذى  
ليس له فى الدنيا سوى الترقيع باليد والبيت الصغير الحقيق ، وفى  
صبح ميلادى أسمانى والدى بهار وكان قد قال لأمى فى  
سعادة :

انظرى إلى لون عيني ابتنى إنها مثل الربيع ، ولم تكن سعادة  
أبى لمولدى بلاسبب ، إذ إننى قد جئت بعد أن توفى له ولدان ،  
على الرغم من أنه زاد عدد الفقراء آكل خبز جديد (٤) .

ولا أتذكر السنوات الأولى من حياتى ، ولكن عندما بلغت  
السادسة من عمرى فقد اضطر والدى لشدة الحاجة أن ينقلنا إلى  
شيراز آملاً أن يوفر لنا لقمة العيش ، كما أن ذكريات الأيام  
القاسية تظل دائماً محفورة فى ذهن الطفل ، وظللنا عدة أيام  
حائرين مضطربين فى المدينة ، وكان الأب قد طرق كل باب من  
أجل العثور على عمل .

وفى النهاية وفق فى أن يتولى حراسة مخزن للجص خارج  
المدينة ، وقد اضطر من أجل إقامتى أنا ووالدتى أن يقيم خيمة  
بالقرب من المخزن ، كما أن الحياة فى الصحراء بعيداً عن

الأقارب والناس قد جعلتنا ضائقين بالجميع تحت ظل الخيمة غير  
الآمنة التى نسكن بها .

وكانت أصوات الكلاب الضالة قد حرمتنا من النوم المريح ،  
وعندما كانت العربات تأتى لنقل الجص من المخزن ، كان من  
الصعب أن نتنفس ، وأحياناً كنت أقع متقطعة الأنفاس بسبب  
شدة تلوث الهواء ، وأحياناً كان هذا الأمر يستغرق ساعات ،  
ولكن بمجرد أن تحمل السيارات وتذهب يعود كل شىء إلى  
طبيعته ، وكانت أمى سيدة صبوراً ولم تشك قط فى كل هذه  
المساوئ .

ومع تحمل أبى كل هذه المصاعب فقد كان أبى يبحث فى  
الوقت نفسه عن عمل آخر ، حتى أنه ذات يوم دخل علينا الخيمة  
سعيداً وقال : لدى خبر طيب لكما ، فسألت الأم متعجبة ، ماذا  
حدث يا مراد ؟ فضغط الأب يديه معاً وقال : لو أن الله يريد فقد  
انتهت تماماً معاناتنا ... وقد عثرت على عمل آخر .

فطارت الأم سعادة من الحديث وسألت :

لا تحلم يا مراد .. ماهو الموضوع ؟

ورفع الأب رأسه وكأنه قد عاد من الحرب منتصراً وقال : اليوم  
ذهبت فى الصباح من أجل قضاء أمر فى المدينة نادى على أحد  
الأشخاص داخل أحد الشوارع المزدهمة بالمارة ، وكلما نظرت  
إليه لم أعرفه ، وبالتأكيد أنه نادى على مراد آخر غيرى ، وكنت

قد وقفت حائراً ، فأعاد مناداتي ثانية ، ألسـت مراداً .. ألا تعرفنى الآن ؟ فدققت أكثر فرأيت أن الرجل الذى ينادينى هو كمال الذى كان من بلدتى ، ولم أتعرف عليه كأحد مواطنى المدينة ، فـخجلت من نفسى ، ولما أن ذاكرته كانت أفضل منى ، طلبت العذر منه ، وقبل كل منا الآخر ، ماشاء الله أصبحت كثير السرحان ، ولكن كان يقول أننى أصبحت شيخاً ، وحقاً مايقول .. فلم أرى يوماً حسناً قط ، تحدثنا معاً بعض الوقت ، ثم سألنى عن حياتى ؟ قلت : أية حياة ؟ إن الحياة فى صحراء الله لاتعد للإنسان حياة ؟ وعندما سمع كمال بهذه الأحاديث فقد حزن وسأل : هل مراد بستانى ؟ قلت لك الطاعة ، ونحن أبناء الأرض والشجر ، فضحك وقال إذن لاتحزن وسأدلك على عمل جيد ، وقد أوصانى سيدى أن آتية ببستانى ماهر ، والآن من أفضل منك ؟ وسوف تدهش من المكان الذى سوف تقيم فيه ، إذ إن الحجرة. التى كانت للبستانى السابق سوف تكون ملكك وبينما لم ينته كمال من كلامه حتى انحنيت وقبلت يديه وقلت : يا كمال أكمل جميلك وخذنى إلى خدمة سيدك .

ولم يتوان كمال ، وأخذنى من المكان نفسه إلى سيده ، وكان سيده رجلاً قوى البنية والهيئة ، وكان دائماً يفتل شاربيه وقد شدنى إليه إلى حد أننى تخوفته ، ولم ينظر إلى مرة واحدة قط ، ولكن عندما عرفه بى بلدياتى كمال وكفلنى عنده ، وأمر السيد بأن أتولى العمل من صباح غد وبعد إلقاء السلام وشكر بلدياتى



كمال ، أتيت بسرعة لأخبركم حتى تجمعوا حاجياتنا ، وأتمنى أن تسنح الفرصة حتى تتعلم بهار ، وتصبح سيدة مدينة بمعنى الكلمة ، واستغربت الأم الحديث وقالت : ومادخل السيدة القروية بذلك ؟ وضحك الأب كان يتابع حاجب الأم ، وقال ابسطي حاجبيك أكثر ، فالآن لا وقت للمعاناة والتعب . أترين إن الله قد أبدلنا بالصحراء هذا المكان حتى نتذوق طعم السعادة .

وقد كان ذلك اليوم من أفضل أيام حياتنا ، ومن شدة سعادتي أخذت أجرى داخل الخيمة ، وكنت أضحك دون سبب ، ولم تكن نظرة أمي مثل الماضى ذات حيرة وبرود ، بل كانت هذه المرة تحمل الأمل والتفاؤل .

وجمعنا أمتعنا التي لم تتجاوز عدة أكياس ، حتى أن أبي من شدة السعادة لم ينم الليلة ، وكان دائماً يتقلب فى فراشه ، أما الأم المتعبة فقد نامت هائلة بسبب كثرة العمل اليومى وربما أنها كانت تحلم بماء الغرفة والمكنسة .

وعلى كل أتى صباح الغد بسرعة ، وانتزع الأب كل مايستطيع من قدرة الأعمدة الحديدية للخيمة من الأرض ، وجمعها انتهت آخر دقائق حياتنا فى تلك الصحراء .

وكان نور الشمس الجميلة يسطع وسط الأغصان المتسلقة وأوراق الأشجار فوق الأرض وذلك عندما وصلنا إلى الباب الحديدى الضخم لحديقة السيد المالك ، وكان قد بسط الطريق



الممتد بالسجاد القيم حتى مدخل عمارة المالك ، وكانت أشجار السرو الجميلة تزين جانبي المدخل العظيم ، وكانت العصافير تطير أسراباً من شجرة إلى أخرى .

وكانت الأشجار المتداخلة باعثة على أننى كنت أشم أريج ورودها من خارج الحديقة ، وكنت قد استرقت نظرة من خلال أعمدة الأشجار المتسلقة ، وقلت لنفسي : هل من الممكن أن يفتح هذا الباب العظيم أمامنا ؟ وأن ندخل هذه الحديقة العظمى ؟ وربما كان أبى وأمى يفكران فيما كنت أفكر فيه ، ومهما يكن من أن أولئك مثلى مندهشين لكل ذلك الجمال ، فقد كانت بالفعل عمارة المالك تقع وسط الحديقة ، وكان المظهر الخارجى لتلك الحديقة يشد انتباه كل عابر حولها ، وكانت أسوار أطراف الحديقة حتى المنتصف مشيدة من الحجر ، ووضع فوقها أعمدة حديدية قوية ، وأخذت أنظر إلى المنطقة نظرة متفحصة بصحبة أبى وأمى ، وكنت فى كل وقت أخشى رؤية السيارات التى كانت تمر بالشارع أمام الحديقة ، وأتخفى وراء رأس أمى ، وكنت لا أتخطى الشارع طالما أنها لم تراقبنى ، وكنا جميعاً مبهورين بالمشاهدة حتى شد انتباهنا (كمال) بصوت المفتاح فى القفل الكبير لباب الحديقة ، وتبسم بمجرد أن رأى الأب وألقى التحية وسألنا عن أحوالنا ، ثم مرور يده فوق رأسى ، وقال للأم مرحباً بك ، بل واستقبلنا استقبالا حاراً كأنه الأب لنا مما أدهشنا ، وكنت أنظر إلى ملابسه فكان يبدو من قميصه وسرواله الكحلى وقبعته المنقبة ولون ملابسه أنه شخصية عظيمة فى نظرى .

وكان الفرق بينه وبين أبى كالفرق بين الأرض والسماء ، بينما كان الأب يبدو من قبعة اللباد الأصفر والسر وال الأسمر الفاتح والقميص والصدرة أنه رجل قروى ، وقد جاء إلى المدينة ، وبعد السؤال عن أحوالنا دخلنا جميعاً الحديقة وسرنا من طريق آخر للحديقة والذي كان منفصلاً إلى حد كبير عن باب الدخول ، وكنت أستمع عندما أظأ بقدمى فوق أوراق الأشجار الذابلة ، وكان اتساع الحديقة واخضرارها الزائد باعثاً على أننى كنت أحس إحساساً عجيباً أو قل إحساساً لطيفاً والذي يذكرنى بفترة الطفولة ، وقطعنا مسافة من تحت أشجار السرو الضخمة وشجر الكاج والصفصاف المجنون<sup>(٥)</sup> ، وكان يبدو من بعد شكل غرفة ، فتركت يد أمى وأخذت أعدو نحوها ، ولما أن أبى قد ذكر قبل ذلك أنهم سوف يمنحوننا غرفة فى الحديقة ، فإن وجه أبى وبريق عينى أمى فى تلك اللحظات أمر لا يمكن وصفه ، حتى أنهما لم يريا ذلك فى الحلم ، وأن يستمتعا بكل هذه المزايا ، وقد أصبحت الحياة فى ظل الخيمة باعثاً لكى نرضى بامتلاك تلك الغرفة .

وكنا نحن جميعاً وكأننا بلغنا ذروة السعادة ، وكنت أجرى حافية فى كل مكان غير مبالية بالأشواك التى كانت تؤذى قدمى كفراشة ، وقد انطلقت فى بستان ملىء بالورود ، وسار والدى حول الغرفة وذكر كمال قائلاً : رحم الله علياً ، البستانى السابق ،

إذ إنه كان يعيش مع أطفاله داخل هذه الغرفة ، وحوض الورود هذا من صنع يديه ، وعندما حلت رحمة الله ، عادت أسرته إلى قريتهم ، وتأوه كمال وأخرج يده من جيبه وأعطى مفتاح الغرفة لأبى ، وقال : إذا شاء الله تتحسن الأمور وتستقر فى العمل بشكل دائم ، وألقى الأب نظرة على مفتاح الحجرة وقال : أشكرك يارب ، فقد أنقذت امرأتى وطفلتى من التشرد ، ولن أنسى يا كمال مادمت على قيد الحياة جميلك هذا الذى فعلته من أجلى ، ولقد لفت انتباهنا إلى المصباح الذى كان معلقا بالغرفة بسلك أسود اللون ، صوت الأم التى كانت تقول فى سعادة غامرة إن غرفتنا تضىء بالكهرباء ؟

ونظر إلى الأب وقال : حبيبتي بهار ، الآن تستطيعين أن تتعلمى بسهولة ، فدهش كمال وأخذ ينظر إلينا فى سعادة وقال للأب : ابدأ يا مراد عمالك من اليوم ، وآمل أن تبيض وجهنا لدى المالك ، فضحك الأب بصوت عال وقال : استرح بالاً يا كمال وسوف أرتب هذا المكان كباقة ورد ، فنظر كمال إلى وإلى أمى وقال : لو احتجتم شيئاً أخبرونى ، فأجابت أمى أكثر الله من أمثالك .

وأخذنا أبى مبتهجاً داخل الغرفة ، وبعد ذلك توجه إلى الفأس التى كانت بجوار الغرفة ، وسرعان ما استغرق أبى فى نظافة

الحديقة ، كما شغلت أنا وأمي بشئون المنزل ، وقد أسعد أُمى وجود صنبور المياه بالقرب من الحجرة ، فغسلت رأسها ووجهها ببعض الماء ، ولم تنقطع أصوات النحل والصراصير والحشرات ، وكأنها اضطرت لأن تتوحد فى أصواتها ، وفى تلك الأثناء كان شدو البلابل ، والطيور ذات الأصوات الجميلة قد ملأت فراغ الحديقة بشكل خاص .

وسرعان ما تعودنا جميعاً على المكان الجديد لحياتنا ، وأصبحت تلك الأصوات شيئاً عادياً ، ولكن الشيء الذى شد انتباهى أكثر من ذى قبل هو وجود شجرة الصفصاف المجنونة التى كانت بالقرب من الغرفة ، وقد أحبيت تلك الشجرة أكثر من الأشجار الأخرى ، وكنت قد وضعت قفص طيور الزينة تحتها ، وعندما أحضرها أبى من أجلى كانت صغيرة ، ولكن مع مرور الوقت ظهر ريش أجنحتها الخضراء الجميلة فوق أجسامها ، كما ظهر أيضاً تحت صدرها قدر من الألوان الصفراء الداكنة ، وكانت مناقيرها الصغيرة جميلة للغاية ، وكانت فى أغلب الأوقات تداعب هذه العصافير بعضها البعض من خلال مناقيرها .

و كنت أنظر إليها دائماً لكى أبتعد عن الوحدة .

ولم تكن لدى الجرأة الكافية لمدة طويلة للعب داخل الحديقة ، ولكن شيئاً فشيئاً زالت هذه الرهبة ، وكنت أخفى نفسى وراء

الأشجار الضخمة ، وكنت أحافظ على الطريق ذى البساط القيم  
الذى كان يصل حتى عمارة المالك .

وكنت أنشغل لمدة ساعات بمشاهدة السيارات التى كانت تتردد  
على بيت المالك ، وكانت نظرتى المتفحصة تلفت انتباه ضيوف  
المالك .

وكانت النساء الجميلات ذوات الملابس الضيقة التى لا تشبه  
ملابس والدتى غير المكوية، كن ينزلن من المقاعد الخلفية للسيارة ،  
وكانت أحذيتهم ذات شكل عجيب ، وكأنهن وضعن مسمارا  
طويلاً داخل كعوبهن ، ولكن لم أكن أغير منهن أبداً ، ولعل نداء  
كان يتردد فى أذنى يقول لى : إنك يابهار أجمل منهن جميعا ،  
ولساعات طويلة كنت أرقب حركة ضيوف السيد من وراء  
الأشجار ، بينما كانت أمى تهتم بالحديقة الصغيرة التى كانت قد  
أعدتها حول الحجرة ، وشيئاً فشيئاً كانت مساحات الخضرة التى  
زرعتها أمى قد نمت ، وكان أبى يعمل دون توقف فى حديقة  
(سالارخان) .

و ذات ليلة دعا أبى كمالاً على العشاء تقديراً له على ما فعله  
من أجلنا ، وعلى الرغم من أن إمكانيات أمى كانت قليلة ، إلا أنها  
قد أعدت طعام حساء الكشك ، وشيئاً فشيئاً كان الجو قد أظلم ،

وبمجرد أن أظلم تماماً وصلت أصوات الصراخ والحشرات إلى ذروتها ، وعندما طرق الباب عدة طرقات ، شغلنا بأمر الضيوف .

ودخل كمال الحجرة يسعل قائلاً يا الله ، وتقدم أبى عدة خطوات لاستقباله باحترام ، وجلس كمال فى صدر الغرفة ، كما وضع أبى مسنداً مريحاً خلف ظهره .

وكانت أمى قد صبت شايًا خفيفًا فى فنجان مكسورة شفته ، ووضعتة فى صينية قديمة أمامه ، وجلسنا جميعاً فى شوق حول كمال ، وكان يسألنا جميعاً عن أحوالنا ، ونظر كمال إلى أبى وقال : أعانك الله يا مراد فقد بيضت وجهى إذ إن المالك راض عن عملك كثيراً .. وقد أعطانى لك مبلغاً من المال كمكافأة ، وتناول أبى فى سعادة أول أجر له وقال ، لأصاب يدك مكروه ، إن كل مالدينا من كرمك .

فأجاب كمال ضاحكاً : لك ماتريد ، ولكن هذا حقك ، وقد عانيت ، فقال أبى : أكثر الله من أمثالك ، وإن كنت اليوم عاملاً مشهوراً لدى سالارخان فذلك بسبب تعهدك بى وإلا فقاطع كمال حديث والدى وقال : حقاً ما تقول يا مراد ، وسارخان كبير أهل فارس ويعرفه الجميع ، وأملاكه متعددة وأغلب أوقاته مشغول بإدارتها .



كما أن جواهر تاج امرأة المالك تنتمي لطائفة كبيرة ، وهى ابنة أحد الخوانين المعروفين ، ولها سيارة خاصة بسائق خاص .

وكان قد ذهب طفلان من أطفال المالك إلى الغرب ، وذهبا إلى المكان نفسه الذى يرتادانه ، ولديه فقط ابن فى التاسعة من عمره ، وهو طفل طيب للغاية ، وكان كثيراً ما يناصر الخدم وهو أساساً ليس متكبراً ، وكان كمال مشغولاً بكل كيانه بالتعريف بأسرة المالك وأسرته ، وكنا نستمع إلى أحاديثه فى شوق .

ثم أضاف : وتعيش شقيقة المالك الوحيدة داخل حجرة منفصلة خلف العمارة ، وعقلها ليس سليماً فكانت إما تبكى أو تضحك ، وقد وضعها المالك خلف عمارته لكى يحفظ ماء وجهه ، فإذا سمعتم فى منتصف الليل عويلاً أو بكاءً ، فلا تخافوا ، فهى ليست مؤذية ، وقد خفت عند سماع قصة تلك المرأة ، فالتصقت بأمى ، فنظرت أمى إلى بينما كنت مذعورة ، وقال لكمال : لماذا لا يحضرون الدكتور لهذه المرأة المسكينة .

فأجاب كمال : لقد فات الأوان على هذه الأحاديث ، والنساء اللاتى يعملن داخل العمارة يقلن : إنهم أطعموها شيئاً ، والآن من هذا الذى أطعمها ؟ .. الله يعلم ، وقد غير أبى موضوع الحديث عندما لاحظ تخوفى وقال : أتظن أنه يوجد خبراء ،



فاليوم ينظمون المقاعد فى البهو ، فضحك كمال وقال : نعم ياوالدى فمثل هؤلاء الخبراء كثيرون هنا ، فى فصل الصيف يكون دائماً لدى المالك ضيوف ، وسوف يأتى مساء غد ، عدد من الضيوف من طهران ، وتقام ولائم الضيافة أمام فناء العمارة لمدة ليل ، فتملاً رائحة المشويات من اللحوم والدجاج أرجاء الحديقة ، وقد أثرت أحاديث كمال على معدتى وأشرت إلى الأم أننى جائعة جداً ، وقد وضعت أمى بسرعة سفرة الطعام أمام كمال بالحرارة نفسها التى يتحدث بها ، وقد وضعت عليها بصلاً ، وأربع قطع بطيخ وبعض الخبز والزبادى ، وصبت حساء الكشك فى إناء نحاس ووضعت وسط السفرة ، ووضعت بجوار السفرة إناء ورديا به ماء بارد ، وبدت آثار الخجل من ذلك الاستقبال الفقير تظهر على وجه أبى ، وضغط كلتا يديه وقال : تفضل ياكمال .. فأنا خجل منك أن أستقبلك بالحساء ، وإن شاء الله لن أخجل فى المرة القادمة<sup>(٦)</sup>، وقال كمال الذى كان قد فهم قصد أبى : ماهذا الحديث يامراد ؟ وكأننا لسنا من قرية واحدة ، أنت تعلم أن المرء يشتاق إلى حساء الكشك فى هذه المدينة . وكمال الذى كانت تربطه بالأب صداقة حميمة ، اهتز فى مكانه بقوة وأقبل على السفرة ، فأبدى الأب ارتياحاً ، وملاً طبقه بالحساء وشغلنا جميعاً بتناول العشاء. وبعد ذلك عندما كنت أفكر فى تلك الليلة ،

كنت أقول لنفسي : إن البطن الجائع لا يفرق بين الحساء والدجاج ، وعندما تتلوى المعدة من الجوع ، فإن الحساء يكون في مقام لحم الرومي ، ويعرف هذا جيداً جميع الفقراء .

وعلى أية حال فإن ضيافة ذلك المساء قد انتهت بوداع كمال لنا حيث كان يعيش في غرفة خاصة كحارس . بينما شغل أبى وهو في سعادة بعد نقود أول أجر له يتقاضاه وراح يعدنا قائلاً : صباح الغد سأشترى لكم كل ما تريدونه ، فاعترضت الأم قائلة : أعد بعض المال ربما نحتاجه . وفي صباح اليوم التالي كنت مشغولة باللعب ، وإذ بأبى وقد دخل الحديقة يحمل تحت إبطه أكياساً ، وعندما رأيته جريت نحوه وألقيت السلام ، فنظر أبى إلى حماسى وقال : كيف حالك يا بهارى ! ساعدى والدك حتى ندخل هذه الأشياء في الغرفة ، وحملت بقدر ما استطعت من أخف الأكياس ، وسرت أمامه ، وكانت الأم وفقاً للمعتاد مشغولة بالذهاب إلى مساحات الحديقة الصغيرة ، وبمجرد أن رأتنا نهضت من مكانها وأخذت عنى الأكياس وقالت في صوت حنون :

أعانك الله يا مراد ، وكنت أبتسم من صوت نبرات أمى وأسلوبها المداعب الذى لا يفارق نظراتها .

ومن شدة سعادتي كنت قد سكبت الأكياس وسط الحجرة ، بينما كانت الأم مشغولة بفتحها على عجل ، بينما وقف الأب

يستمتع بأفعالى المتسركة وكذلك تعجل أمى ، إذ إنه لم يكن قد رآنا منذ فترة طويلة على هذا النحو ، ونظرت إلى أمى التى كانت مشغولة بترتيب قطع المزهرىات ، إذ كانت دائماً تطلب أدوات الزينة المعدنية هذه .

وكنى ساطير فرحاً عندما رأيت الحذاء القرمزى اللون الذى كان قد اشتراه أبى لى ، وعلى الفور ارتديته ، وخرجت من الحجرة ، ومهما يكن من أننى لم أعود على السير بحذاء ، لأن أغلب الأوقات كنت أسير حافية القدمين ولكن من الاشتياق للأحذية بدأت أعدو حول المنزل .

وشياً فشىاً بلغت شجرة الصفصاف المجنونة التى كان قد علق بأحد أغصانها قفص طيور الزينة ، وكأنى أردت أن أشاركها سعادتى ، ولكن فجأة رأيت كلباً أبيض كثيف الصوف والذى شغل بحفر حفرة تحت الشجرة ، وعندما رأيت ذلك الكلب ، اضطربت وسعدت بأننى نسيت حذاءى ، وذهبت نحو الكلب دون أن أحدث صوتاً ، وحملته بهدوء جداً . واستسلم لى تماماً حتى أنه لم ينبج ، وفقط أخذ يتفحص نظرتى ويشم ملابسى وربى الكلب وقبلت رأسه عدة مرات ، وطاب لى صوف ذلك الكلب، وقلت فى هدوء : ما اسمك أيها الصغير ؟ ... ما اسمك ؟ فرد صوت حنون من خلفى اسمه : سالى .

وعند سماع ذلك الصوت الذى فاجأنى ، التفت ورائى ،  
فرأيت أن ابن المالك قد وقف خلفى تماماً ، وكان يشاهد تصرفاتى  
حينما كنت مشغولة بمداعبة الكلب .

ووقفت حائرة للحظات أمام الصبى بينما كنت أضغط على  
الكلب تحت إبطى .

فسأل الصبى : أكيد أنت بهار ؟

ونظرت إليه متعجبة وقلت : من أين عرفت اسمى ؟

فضحك وقال : ألسنت أنت ابنة العم مراد ؟

قلت : لماذا ؟

قال : حسن لقد سألت أباك ، أعرفه منذ فترة وقد قال لى :  
اسم ابنتى بهار . حسن الآن تحدثنى لأرى هل أعجبك (سالى) ؟

وفكرت وقلت : نعم إنه كلب جميل ، وأنا لدى بعض طيور  
العشق<sup>(٧)</sup> هناك داخل القفص ، وأشارت للصبى إلى قفصها  
بأصبعى ، وشغف بمشاهدتها للحظات ، وقال الصبى الذى لفت  
نظره اهتمامى الزائد بكلبه :

إن سالى يعرف أشياء كثيرة ، فلو أردت أشارت له ؟ فأومأت  
برأسى أننى أرغب أن أرى فنون سالى ، وألقى بها جانبها فأعادها

الكلب على الفور ، ودهشت من ألعاب سالى ولكن الشئ الذى شغلنى أكثر هو سلوك الصبى ، إذ إن تصرفاته كلها حنو ومودة ، وأحسست عرضاً لبضع دقائق أنه ليس غريباً عنى ، وكأننى كنت أعرف الصبى منذ أيام طويلة ، واستغرقت فى تلك الأفكار حتى سأل : فى أى سنة فى المدرسة يابهار ؟

ولم أكن أعرف بماذا أرد ؟ ودار فى ذهنى فقط أن أبى قد قال إن هذا العام ، ستذهبين سنة أولى ، وفكرت ثم قلت : سنة أولى . وضحك وقال : أحسنت يابهار ، إن لدى كتب الفصل الأول سأحضرها لك .

ولم يتم جملمته بعد حتى نادى عليه خادم مسن من الخدم داخل العمارة ، وودعنى الصبى بسرعة ، وبينما كان يذهب نحو العمارة قال : سأحضر صباح الغد سالى حتى تلعبى به ، وسأعطى الكتب العم مراد لكى يحضرها لك ، وتابعته بنظرة متحسرة حتى السلالم التى كانت توصل حتى البهو ، وبعد انصرافه أحسست بضيق عجيب ، وكان كل شئ أشبه بالرؤية ، وكأننى قد رأيت كل تلك اللحظات فى حلم ، وكنت مازلت أحس بحرارة جسم (سالى) تحت إبطى .

وكانت معرفتى بابن المالك باعثاً على أن أنسى حذائى تماماً ، وكان كل فكرى منحصرأ فى حديثه والجمل التى دارت بيننا ،

والتي ما زلت أتذكرها ، وسألت نفسي : هل سيفي بوعده ويحضر  
الكلب لكي ألهو به ؟

ونظرت إلى قفص الطيور، فرأيت أن الشمس قد اقتربت منه ،  
فأنزلتها على الفور إلى أسفل واتجهت إلى غرفتنا ، وحكيت  
ما حدث لأمي ، فنظرت إليه غير مصدقة ، وسألت : ما اسمه ؟  
فتمتعت وقلت لم أسأله عنه ، وتبسمت الأم وقالت : ليست هناك  
مشكلة : أسأليه غداً عندما يأتي ، وكانت تغرب الشمس ببطء ،  
بينما جاء الأب متعباً من عمله اليومي إلى الحجرة .

وكان يحمل كيساً بيده ، فنظر إلى وقال تعالى يا بهاري فقد  
أرسل إليك ابن المالك هذه .

فأخذت كيس الكتب من الأب سعيدة وفتحتها على الفور ،  
وكنت أرى لأول مرة الكتاب طيلة سبعة أعوام هي عمري ،  
وبدأت أقلب الصفحات ، وظللت مشغولة بمشاهدة الكتب حتى  
وقت طويل من الليل ، وبينما كنت مندهشة بالصور فقد غلبني  
النوم فوقها .

وفي صباح اليوم التالي استيقظت بسرعة من النوم فنظرت إلى  
الأم متعجبة وقالت : هل أنت جائعة ؟  
قلت : لا .

قالت : إذن لماذا استيقظت من النوم هذا الصباح بهذه السرعة ؟

أجبت : إن ابن المالك سوف يحضر الكلب نلهو به معاً .

فضحكت الأم بصوت عال وقالت : ابنتى الحبيبة إن أولئك لا يستيقظون مثلنا فى الصباح ! فعندما تسطع الشمس على كل ركن من أركان الحديقة ، يستيقظ أولئك ، ولم أصغ لحديث أمى وخرجت من الغرفة جائعة ، وتوجهت إلى شجرة الصفصاف المجنونة التى تبعد مائة قدم عن حجرتنا .

ولما كانت تهب نسيم معتدلة من تحت أغصان الأشجار وأوراقها، فقد طرد عير أشجار النارنج كسل النوم عن جسدى ، وكان أبى يجمع أوراق الأشجار المتساقطة فى منطقة ليست بعيدة عنى ، وبالمكنسة اليدوية الطويلة التى كان يمسك بها ، ألقى كوماً من أوراق الأشجار الذابلة جانباً .

وكانت الريح الخفيفة تهز أغصان الصفصاف المجنون المتدلى بلطف وكأنه شعر طويل لامرأة وقد نشرته على كتفيتها ، وكانت الأنوار الذهبية للشمس تشرق شيئاً فشيئاً من تحت أغصان الأشجار فوق سطح الأرض .

وبينما كنت أعد الدقائق انتظاراً لمجيئهما ، سمعت نباح سالى دفعة واحدة ، وتوجهت صوب الجهة التى كان يصدر منها نباح



الكلب ، ولم أشعر بنفسى حتى أخذ الاثنان يعدوان نحوى بينما كنت أنتظرهما .

فقلت لنفسى : ولد طيب ، أوفى بوعده .

وبينما كان يبعد عنى عدة خطوات قال : السلام عليك يا بهار ، هذا هو سالى الذى كنت قد وعدتك به ، ورفعت رأسى بينما كانت حرارة نور الشمس تدغدغ عينى وقلت : سلمت يداك ، ياسيدى ..

فضحك الصبى الصغير وقال : سيد من ؟ إن لى اسماً .

فقلت : بالأمس نسيت أن أسألك عن اسمك . وتبسم وقال : اسمى أمير هوشنج .

قلت : ياله من اسم طويل !

فضحك بصوت عال وقال : قولى أمير فهو أفضل ، أعلم أن اسمى ليس جميلاً مثل اسمك .

فتجرات أكثر وقلت : لماذا ؟ إن اسم أمير جميل أيضاً .

راقه حديثى ، فضحك ثانية وقال : أحسنت يا بهار أنت فتاة مؤدبة ، فإذا سنحت الفرصة سأعلمك الأبجدية الفارسية حتى إذا فتحت المدارس ، وذهبت الفصل الأول تفوقت على جميع التلاميذ .

وبينما كنت أداعب فروة سالى ، قلت : ممتنة جداً ، ولكن وقد  
تذكرت موضوعاً مهماً فسألته : هل تعيش هنا امرأة مجنونة ؟

فقطب أمير حاجبيه وقال : لا.. لا ، عمتى قمر ليست مجنونة ،  
هى فقط مريضة قليلاً ، فمن قال لك هذا يابهار ؟

وفكرت قليلاً وقلت : لا أحد ، بل سمعت صياحها بنفسى .  
فنظر أمير غاضباً وقال : تلك المسكينة لا تؤذى أحداً ، ولكن  
حاولى ألا تذهبى إلى تلك الناحية من الحديقة ، فلو رآك أبى  
خلف العمارة فسوف يغضب .

قلت : لك ماتريد ، فلن أذهب هناك ، وأنا أخشى أن أذهب  
هناك بمفردى .

وبينما كنا مشغولين إلى حد كبير بموضوع العمة قمر جاءنا  
سالى يعدو نحو حجرتنا .

فجريت أنا وأمير وراء الكلب فى اتجاه الغرفة ، وعندما  
سمعت أمى نباح الكلب ، خرجت من الغرفة ، وبمجرد أن رأى  
أمير هيئة والدتى ، دهش ، وألقى السلام ، ولعل الشكل الظاهرى  
لملابس أمى القروية كان باعثاً على دهشته ، فدعته أمى حتى يأتى  
إلى حجرتنا ، وبمجرد أن دخلها ، جال بناظره فى أرجائها ،  
فسأل : أمازلتكم لم تحضروا أمتعكم بعد ؟

فضحكت أُمى وأجابته : ماتراه هو كل مانملكه ، فخبجل أُمير  
من السؤال الذى طرحه ، وشغل بشرب الشاى الخفيف ، بينما  
بدت عليه الدهشة .

ولما رأيتـه مشغولاً بالحديث مع أُمى فى غرفتنا ، فقد سعدت  
بأنه أتاح لى الفرصة لأن ألعب مع كلبه الجميل ، ولن أنسى أبداً  
اللحظات الأولى للقاء أُمى بأُمير .

وقد لفت نظره جيبـة أُمى الطويلة غير المكوية مع البلوزة  
الوردية والتي كانت ممزقة من الجانبين ، وقد غطت شعرها برداء  
أسمر ، وربما كانت دهشته بسبب أن أكثر النساء اللائى كن  
يترددن على عمارة والده كن جميعاً يرتدين المعاطف والجيبات  
المواكبة للموضة ، وكن يلبسن القبعات بدلاً من الحجاب . بينما  
كانت ملابس أُمى غير تلك الملابس التى كان يراها فى أغلب  
الأوقات . وأدركت أُمى بذلك سبب دهشته ، ووضحت الأمر  
قائلة : نحن نسوة قرويات لم نكشف حجابنا قط ، وقد دافعنا  
حتى آخر نفس عن حجابنا وعاداتنا القروية ، ولهذا السبب لم  
نغير ملابسنا ، وبقينا على النمط القديم ، وكأن أحاديث الأم قد  
استقرت فى وجدانه حتى أنه لم يرمش ، وكان يصغى إلى  
أحاديث أُمى فى صمت ، وبعد انصراف أُمير ، أحسست بالوحدة  
أكثر ، وشغلت بتقليب صفحات الكتب وأنا فى ضيق .

وقالت الأم فى سعادة : حبيبتي بهار ، اليوم ذهب أبوك ،  
وكمال حتى يقيداك فى المدرسة ، وإن شاء الله ستذهبين إلى  
المدرسة بعد عدة أيام أخرى ، وينبغى أن أحضر لك بشكل سريع  
حجاباً وحقيبة وحذاء .

فقلت فى سعادة : ولماذا لم تقولى لى ذلك مبكراً حتى  
أقول له .

فسألت الأم تقولين لمن ؟

قلت : لأمير .

فضحكت الأم وقالت : إنه يفهم ذلك جيداً ، إذ إن مدرسته  
قريبة من مدرستك ، وكان قد سيطرت على حواسى المدرسة  
والحقيبة والكتاب دون أى شئ آخر . ياإلهى العظيم .. يالها من  
أيام ربما تعتبر تلك الأيام من أفضل أيام عمرى ، وكانت قد  
فتحت أمامى دنيا جديدة ، دنيا الدرس والمعلم والمدرسة ..  
فخرجت مرة واحدة من ذلك الحلم الجميل وقلت لنفسى : وماذا  
عن طيور العشق ؟ إنى سأحزن لو لم آخذها معى إلى المدرسة ،  
فحزنت لذلك ، وقلت من سيقدم لها الماء والحبوب ؟ فقد كان  
عملى هو رعايتى لها .

وتذكرت عندما أحضرها لأول مرة والدى إلى المنزل وكانت  
مازالت أفراخاً صغيرة ، وقد صحت فرحة بها ، وقبلت وجه أبى  
عدة مرات ، وكنت أضع دائماً قفصها بالقرب من فراشى ، وكنت  
أستيقظ كل صباح على أصوات نقر مناقيرها فى إناء الحبوب ،  
فلفت نظر أمى عدم راحتى فسألت فيما تفكرين ؟ قلت : فى  
طيور العشق ... فضحكت وقالت : لا أريد أن تقلقى وسوف  
أرعاها أفضل منك ، وينبغى عليك أن تهتمى بدروسك فقط .

## الفصل الخامس

وكانت الأيام تمر يوماً بعد آخر ، وكان يعد أول أيام التحاقى بالمدرسة جزءاً من ذكرياتى الماضية شيئاً فشيئاً ، ولا يمكن أن أنسى أبداً سعادتى بأول يوم كنت أتأهب فيه للذهاب إلى المدرسة ، وقد كان حجاب المدرسة أكبر من سنى ، وكان القماش رمادياً ، وكنت أربط على وسطى لأول مرة حزاماً أبيض اللون ، وكانت قد ربطت أمى شريطاً أبيض بشعرى على شكل فراشة ، ثم عقدته أسفل الشعر ، ولما كانت هناك مرآة صغيرة ، ولم أكن أستطيع أن أرى نفسى جيداً ، فقد كنت أغضب من ذلك ، وكان أبى قد اشترى لى حقيبة جميلة .

وفى ذلك اليوم لم يكن لدى شئ بالنسبة للأطفال الآخرين ، ومع ذلك كنت أنا وأمير لمدة عدة أعوام متوالية زميلين ورفيقين فى المدرسة الابتدائية أكثر من جميع الأطفال ، كما كانت فصولنا فى وقت واحد ، وكان ذلك شيئاً غريباً ، وقد كان هذا باعثاً على أن أحظى بالعطف الزائد لابن المالك ، وعلى الرغم من أن طريق المدرسة الابتدائية لم يكن بعيداً حتى البيت ، إلا أننا كنا نسير معاً بصحبة كمال ، وكنا مشغولين طوال الطريق بأحاديثنا الصببانية ،

وكنـت أشير إلى الدرجة العشرين التى كنت قد أخذتها بسعادة إلى أمير وكمال .

وكنا نتسابق معاً فى بعض الأوقات حتى باب الحديقة ، وكان الشخص المتعلم الوحيد القريب منى هو أمير ، وكان دائماً يجعلنى موضع عطفه ، وبسرعة أنهيت سنوات المدرسة الابتدائية الست ، ولم أعد تلك الفتاة الصغيرة القروية التى كانت منذ ستة أعوام من قبل ، بل الفتاة الشابة ابنة المدينة التى كان يفخر بها والدها ، وكانت نظرة أمى الزاخرة بالثناء على تشير إلى نصبحى الواضح . ولا يمكن أن تنسى من ذاكرتى السنة الأولى لالتحاقى بالمدرسة الثانوية ، وكنـت أقف أكثر الأوقات أمام المرأة ، وكنـت أتججج بأننى أرى نفسى فيها ، وأستطيع أن أقول بجرأة إن نور تلك المحبة الطاهرة والصبيانية قد تحول إلى شعلة نار متمردة من عشق الشباب ، وبدا العشق الطاهر والأبدى بيننا واضحاً ، وهو العشق الذى ارتوى غصنه من السنوات السابقة من خلال تجربة الصداقة ، وقد أثمر هذا العشق حباً غير ملوث وبعيداً عن النزوات النفسية ، وهو الحب الذى عبرت عنه نظراتنا المتبادلة ، ولم تكن هناك قوة قادرة على محوه ، ومهما كبرنا ، فقد كانت الرغبة الشديدة فى اللقاء تتزايد لدينا ، وكان الحظ إلى جانبنا ، إذ إننا جعلنا من التعليم حجة مناسبة للقاءاتنا معاً ، وكنا نجلس معاً ساعات فوق منصة عريضة أمام الحجرة لنعبر عن أحاسيسنا الداخلية .



وقد واكب السنة الخامسة لدخولى المدرسة الثانوية ، السنة الأولى لدخول أمير كلية الحقوق بشيراز ، وفى اليوم الذى أدرك فيه أنه سوف يذهب إلى الكلية ، جاءنى سعيداً وأخبرنى بهذا .

فقلت مازحة : ماذا يعنى قبورك يا حبيبى ؟ فضحك بصوت عال وقال : كنت قد فكرت فى ذلك أيضاً ، وبعد ذلك تبادلنا النظرات المباشرة ، ثم قدم لى ديوان حافظ كهديّة ، وبينما كنت أقلب أوراق الديوان وأقرأ أشعاره ، لفتت نظرى ورقة موضوعة فى الديوان ، حيث كتب بها هذا الرباعى الجميل .

(ألا تعلم أنك أنت حبيبى ؟)

(من بين جميع الأحبة)

(وأنت بدايتى ونهايتى)

(طالما لم تفصل روحى عن جسمى)

(إهداء إلى بهارى الجميلة)

وقد ترنمت بهذين البيتين مرات ومرات ، واغرورقت عيناي بدمع الشوق ، وكنت أود أن أصرخ داخل الحديقة قائلة ؟ أنت كل شئ لى ، وأنت آخر شخص يخفق قلبى له ، ولكن وا أسفاه فقد اضطررت ، لأن أسكت نداء قلبى فى جسدى ، ولماذا المسافة بينى وبينه كالمسافة بين الأرض والسماء ؟ !

وفى اليوم التالى اشتريت له فى مقابل الهدية القيمة التى كان  
قد اشتراها أمير لى ، اشتريت له ديوان خواجو كرمانى الذى كنت  
أحب أشعاره كثيراً .

وكتبت له فى الصفحة الأولى من هذا الديوان هذين البيتين :

(لقد تعلمت أبجدية الحب على يديك)

(وأشعل شمع روحى بريق عينيك)

(وقد أصبح الصدر لوحاً نقش عليه وجه الحبيب)

(وقد ادخرت ثروة عشقك فى أعماق كيانى)

إهداء إلى نجم سماء كيانى

وفى ذلك اليوم وفى وقت مناسب قدمت ديوان خواجو  
كهدية لأمير دون أن أجرؤ على النظر إلى عينيه ، وكانت يداى  
ترتشان بوضوح ، وكان هو يلحظ تغير حالى تماماً ، وعدت إلى  
الحجرة على الفور ، وشغلت نفسى بالاطلاع على كتاب هروباً  
من نظرات أمى المتشككة ، بينما كانت كل حواسى وعقلى شاردة  
فى مكان آخر ، وتذكرت أول سنة لالتحاقى بالمدرسة الابتدائية ،  
إن أبى قد أطلق سراح طيور العشق عندما وجدنى مشغولة بها إلى  
حد كبير ، وكان قد طيرها فى الحديقة ، وفى ذلك اليوم بكيت  
حتى المساء .

وقال الأب لتهدئي : بهارى ، لقد ذهبتُ مثلك إلى المدرسة ،  
بينما كنت أيقنت أن أبى قد طيرها متعمداً ، فذهبت للفراش  
باكية ، ولكن يا أبى بعد مرور السنين ، الآن قد عششت حمامة  
العشق فى حديقة قلبى ولن أسمح أبداً لأى يد أن تطير هذه  
الحمامة من عشها ، وكأن الأب كان أمامى ، وكنت أحس أننى  
أعانى مثله ، فوضعت رأسى فوق الكتاب الذى أدهشنى ، وشيئاً  
فشيئاً بكيت البكاء الذى كانت تفوح منه رائحة العشق ، وقد  
امتزج طعمه بالخوف .

وقد واكب آخر سنة فى المدرسة الثانوية ، حيرة روحى فى  
أرض العشق والفرع ، العشق الذى نمت جذوره فى كل أعماقى  
وكيانى .. والفرع الذى أثاره فى ذهنى هواجس الفرق بين الفقير  
والغنى . وكأن الزمان يعيد نفسه دائماً ، القصة القديمة لابنة  
البستانى الفقير وابن الخان الثرى ، .. وفى أيام الطفولة كنت  
سمعت مرات ومرات عن قصة ابنة بائع الفحم وابن الملك ،  
وكنت قد قرأت موضوعات عن تشرد ليلى والمجنون ، ولكننى لم  
أتصور قط أن يد القدر قد خطت لى مثل هذا الأمر ، وكانت  
القرعة هذه المرة من نصيب (بهار) ابنة مراد البستانى وأمير هوشنج  
هدايت ابن سالارخان هدايت ، ... سالارخان الذى تجعل هيبة  
نظرته الإنسان يرتعد ، وعندما أقف أمامه أكون مثل أرنب بين

مخلبي عقاب .. لذلك لم تحجب الشمس طويلاً تحت السحب ،  
وفى النهاية انكشف أمرى لأمى وأخبرتها بصراحة عن قصة  
عشقى ، وبعد أن سمعت أحاديثى ، انزوت حائرة فى جانب ،  
وصمتت لعدة دقائق حتى بدأت الحديث قائلة : أنت تلعبين بالنار  
يابهار ! وعاقبة هذا العشق واضحة جداً ، وأنت أول ضحية لهذه  
النار ، وسوف نصبح أنا ووالدك المسن رماداً وسط شعل هذه  
النار ، وأنا لا أقول هذا من أجلى أو من أجل والدك ، بل أعنى  
أنك إلى أى جحيم سرت ؟ ! فهل سالارخان سيسمح لابنة  
السيد مراد البستانى أن تضع قدمها فى عمارته كعروس لابنه ؟!  
فلو كنت ساذجة إلى هذا الحد .. ففكرى قليلاً ..

وقد أشعلت أحاديث أمى أول شرر النار فى كيانى ، ولكن  
الرابعة القوية التى وثقها الله بيننا لم تفسدها اليد الإنسانية .

وعلى الرغم من أنه لم تكن لدى الحرية السابقة لرؤية أمير ،  
وأن أمى كانت فى أغلب الأوقات تمنعنى عن لقائه ، ولكن هذا  
الحظر لم يتسبب فى أن يؤثر هذا على حبنا ، وقد أنهيت السنة  
الأخيرة من الدراسة بنجاح ، وذلك بالتحصيل الدائب ، وبعد أن  
حصلت على شهادة الدبلوم ، كان يعتقد أمير أنه يجب عليه أن  
يتحدث مع أبى فى شأنى .

وبينما كنت قلقة للغاية من تصريح أمير بمسألة خطبتي ،  
وكنت أستطيع أن أتوقع رد فعل أبى بعد خطبة أمير لى ، على  
الرغم من أن أميراً كان يقول : إن حياتى الخاصة من شأنى أنا  
فقط ، فلو أطعت أبى لكان يجب على أن أعد حقيبة سفرى  
وأغادر إيران ، فى حين أن كل عشقى وأملى فى هذه البلدة ، وكم  
اقترح أبى على أن أذهب إلى الخارج مثل أختى وأخى ، ولكن لم  
أكن أهتم بهذا الأمر لصغر سنى ، ولعل فتاتى هى السبب فى هذا  
الأمر ، ومن ناحية أخرى عندما ارتبطت بك فقد وضعت أبى أمام  
الأمر الواقع ، وهو آجلاً أو عاجلاً سوف يضطر إلى تقبل  
الواقع .

وعلى الرغم من أننى كنت أعرف أن أميراً يتحدث هذه  
الأحاديث من أجل صداقتنا المحضة ، ولكنه أثار فى قلبى ثورة  
عجيبة، وفى النهاية رضيت أن يخطبنى فى وقت مناسب من أبى ،  
وتهيأت لأن أرد على أى اعتراض من قبل أبى .

ولما أننى كنت مؤمنة بهذا الحب فقد اعتبرت أن المخاطرة فى  
سبيل العشق أمراً واجباً .

ولكن هل كان يحق لى أن أعرض أبى وأمى لشر غضب  
سالارخان من أجل تحقيق مطلبى ؟!

إن هذا السؤال كان دومًا يقبض قلبي ، والمسلم به أن أميرًا أراد الزواج بي دون مشورة والديه ، وقد تسبب هذا الموضوع في إشعال نار غضبهما .

وفي النهاية فقد دنت اللحظة التي كنت أنتظرها ، ودخل أبي الحجرة مضطربًا ، وبدأ يتحدث حديثًا غير لائق ، فارتعد بدني رعدة غريبة ولم أقو على الكلام ، وقد كان وجه أبي مضطربًا إلى درجة أنه أقلقني عليه ، ونظر إلى وقال : بعد كل هذه السنوات من العناء والمشقة تعبثين بشرفي إلى هذا الحد ؟ لقد سمعت كثيرًا أنكما تتحبان .. فأين أنت ذات الضفيرة المبتورة .. وأين ابن سالار خان ؟ بأية جرأة تخرجين عن ثوبك ؟ ! صبي صغير بمنتهى الجرأة يأتيني ويقول أنا وبهار نتحاب ، فلو تأذن لنا لن تكون هناك مشكلة أخرى ؟ وددت لو صحت فيه قائلًا : أليس هناك مشكلة أو حساب يحسب إلا لأبيك ؟ ! فهل هو رباك أو أرضعك ؟ وكأن القضية بهذه البساطة بمعنى أن أوافقه فقط حتى يبارك الله في النهاية هذا الأمر ؟ !

وبينما كان أبي يردد هذه الجمل ، بكيت مثل سحابة الربيع ، ونظرت إلى أمي ، فوجدتها قد انزوت جانبًا مغمومة ومضطربة ، وأخذت تفكر في مستقبلي المجهول ، ومن شدة غضب أبي ضربني في ساقى بعنف وقال : انهضى واجمعي الأمتعة بدلا

من البكاء ، فسوف تغادر هذا المكان فى صباح الغد على وجه السرعة .

وعندما سمعت هذا الأمر ، وضعت يدي على فمى بقوة حتى لا يسمع بكائى خارج الغرفة .

وكانت الأم قد طأطأت رأسها وأخذت تبكى ، بينما راح الأب يضرب باب الحجرة غضباً ، وكان أملى الوحيد منحصراً فى السيد كمال ، فكان يجب على أن أخبره حتى يخبر بدوره أميراً بموضوع رحيلنا .

وسألت باكية : إلى أى مكان سذهب يا أبى ؟ فأجاب غاضباً ؟ إلى جهنم ، المكان الذى لاتصل إليه يد هذا الولد إليك ..

فتجرات وقلت : لعلك تعارض الزواج ؟

فتطير الغضب من عينيه وصاح قائلاً : إن الأجير لا يعارض زواجاً ، ولكن ليس الزواج الذى يفنى أسرة بأكملها ، وتعلمين أن ذلك الرجل - سالارخان - ذو سطوة .. فأية نار ستشعلين ؟ ! واستريحى بالآ فسوف تسفكين دماء ثلاثة أشخاص فى هذه الحجرة فأية جرأة أكثر من جرأتك هذه إن شاء الله ؟ ! ولكننى وأمك سوف نرحل فى صباح الغد على وجه السرعة من هذا المكان إلى جهة غير معلومة ، وينبغى عليك أن تختارى أنت



إما نحن وإما هذا الولد ، فإن أردت الزواج به فينبغى أن تنسينا إلى الأبد ، وإلا يجب عليك أن ترافقينا صباح الغد .

وكان الهلع قد سيطر على كيان أبى ، وأخذ يضغط يديه غضباً ، وأخذ يقول صراحة : لم أكن أنا طفلاً قبل ذلك ، وينبغى أن أتخذ قرارى بمنتهى الجرأة ، على الرغم من أن أى شخص آخر لن يستطيع أن يعوضنى عن الزواج بأمير من وجهة نظرى ، ولكن الانفصال عن الأب والأم ليس سهلاً بالنسبة لى ، وكأن شخصاً كان قد صاح داخل قائللاً : لا ينبغى أن تستسلمى للخوف .. إذ إن أميراً قد تجرأ واختارك زوجة المستقبل له ، إذن ينبغى عليك أن تثبتى وفاءك له ، وجففت دموعى بمنشفة ، وكأن ثورة قد هبت داخلى ، ولكن اضطررت لأن أختار طريقاً واحداً لاستمرار حياتى ، فإما أن أعرض عن عشقى وأملى خوفاً من سالارخان ، أو أتجاوز كل هذه المشاق من أجل الزواج بأمير .

وقلت لنفسى : إن كان قد واجه كل هذه المشكلات بثبات ، فلماذا لا أتحمل كل تبعات هذه الزيجة بروحى وقلبى .

وفى ذلك الوقت كنت قد اتخذت قرارى ، وكتبت فى الوقت المناسب رسالة خطية بهذا المضمون لأبى وأمى دون أن يشعر : أبى وأمى العزيزين ، لقد طلبتم منى أن أختار طريقاً من طريقين ، إما الزواج أو الرحيل ، وأنا الآن سوف أحدد لكم اختيارى الذى

أؤمن به إيماناً عميقاً .. إننى سأقبل الزواج بمنتهى الرضى من أمير ، على الرغم من أن هذا الزواج سيكون محفوفاً بالمشكلات ، وآمل أن تصدقوا أن هذا الاختيار لا يدل على عدم احترامكم ، بل إننى حتى آخر نفس سوف أحبكم مثل روحى الغالية ، وفى اللحظة التى سيصلكم فيها خطابى أكون قد رحلت من هنا ، ولكن لاتقلقوا علىّ ، ولدى حبيبى الوفى سأذهب عنده حتى يحين وقت زواجى ، فإذا عفوتم عنى ، تعالوا لرؤيتى ، وسأظل إلى الأبد أتوقع رؤيتكم وأستودعكم الله .

(بهار)

وكان الأب والأم غارقين فى البحث عن أمتعهما ، بينما كنت قد اتخذت قرارى بالبقاء ، وأخفيت الرسالة جانباً حتى أسلمها لكمال فى الوقت المناسب .

ولما أننى كنت أعلم أن أبى سوف يذهب إليه عندما يكتشف غيابى ، وسيسأله عنى ، إذ إن كمالاً كان بمثابة الأب الثانى لى ، ولمدة طويلة توثقت علاقتنا به أكثر من كونها مجرد صداقة .

وكان الرجل المسن الطيب القلب قلقاً على مستقبلى ومستقبل أمير ، وكان كمال الشخص الوحيد الذى كان يحدثه أمير بصراحة عن مكنون سره .

وانتهت آخر ليلة لإقامتنا فى حديقة سالارخان ، ليلة صعبة  
ومنهكة ، حتى أنه لم يغمض جفنى فيها لحظة واحدة ، وكنت أود  
أن أنظر جيداً فى الصباح إلى أبى وأمى ، وأحسست كأننى لن  
أراهما ثانية ، ولم يعد لدى دمع أبكىه ، ونظرت إليهما نظرة جافة  
حزينة كلها دهشة ، ووددت أن أصبح فيهما : أيها الميت استيقظ  
ودعك من هذه التزمّنات ، وآخر المطاف أى جرم جنيته حتى  
أتزوج الرجل الذى أحبه سرّاً بدون وجود الأب والأم ؟ فلو كان  
ذنبى الفقر ؟ فلا حق لى إذن فى العيش والعشق .. فلو لم يكن  
هناك المواطن والمزارع والعامل ، كيف أصبح هؤلاء الغافلون عن  
الله أصحاب كل هذه الأموال والمتاع ، بينما الخوانون ليسوا  
قادرين على زراعة قدم واحدة من الأرض .. وليس للأثرياء عمل  
سوى الأكل والنوم .

وهل المعاناة وشق الأرض وأكل اللقمة الحلال جرم ؟ وهل  
كل من حصل على لقمة العيش بعرق الجبين - ينبغى عليه أن  
يبتعد عن جميع الأثرياء ؟

هل لنعلم أن زعيم ديننا رجل الحق والحقيقة (على) (عليه  
السلام) كان مزارعاً وهو نفسه كان يستصلح الأرض بيديه  
المباركتين ؟ ولم يحس بالحنجل قط من هذا العمل . يا إلهى ،

لماذا بعض هؤلاء غافلون عنك ، ومع ذلك يعتبرون أنفسهم  
حكماً مطلقين على مصائر الآخرين .

و كنت قد استغرقت فى أفكارى حتى إشراق الصباح .. وقت  
الرحيل ، وكان يجب علىّ أن أترك الحديقة قبل استيقاظ أبى وأمى ،  
وإلا لكان أجبرنى أبى على الذهاب معه ، وحملت بعض أمتعتى  
التي كنت قد أعدتها منذ المساء فى أحد أركان الحجرة ،  
وخرجت من الحجرة همساً ، فهبت ريح شديدة ، فأسقطت أوراق  
الأشجار الذابلة فى أرجاء الحديقة ، ونظرت حولى وقلت لنفسى :  
أستودعك الله يا أبى .. أستودعك الله يا أمى العزيزة ، أمل أن  
تصفحوا عني .

ومرت على عجل من بين الأشجار ، وكانت مازالت الرؤية  
غير واضحة ، وكنت مطمئنة على أن كملاً مستيقظ لصلاة الصبح  
فى الغرفة المجاورة لباب الحديقة ، فطرت الباب بهدوء عدة  
طرقات بإصبعى ، وسرعان ما فتح كمال باب غرفته ، فدهش  
لمجيئى ، وأجاب على تحيتى .

قلت : ليس لدى وقت كاف ياعم كمال ، فينبغى أن أذهب  
بأسرع ما يمكن ، وقلت له : أعط هذه الرسالة لأبى ، وقد  
وضحت له فيها كل شئ ، واعط هذه الورقة لأمير حتى يستدل  
على مكانى .

وكان يشاهد كمال فى حيرة يدي المرتعشتين ، وكأنه قد حزن  
فلم يتحدث قط .

قلت : ياعم كمال إن لم أذهب من هذا المكان قبل استيقاظ  
أبى فسوف يحرمنى من أمير إلى الأبد ، فهو خائف للغاية ، واليوم  
سوف يغادر (شيراز) بصحبة أمى ، وسوف أذهب أنا إلى منزل  
إحدى زميلاتى القدامى ، وقد كتبت العنوان للأمير ، وحاول أنت  
أن تعرفه بوضعى ، فينبغى أن يكتب إلى بأسرع مايمكن .

فأصغى كمال بدقة إلى أحاديثى ، وهز رأسه عدة مرات مؤكداً  
أنه فهم كل شئ .

وودعته على الفور وسرت فى طريقى بالقرب من قبر الشاعر  
حافظ ، إذ إنه ينبغى أن أمكث هناك حتى وقت الظهر ، وبعد ذلك  
سأذهب إلى منزل حبيبى ، وكان كمال يعلم قصتى أنا وأمير ،  
وأصر على إصراراً قاتلاً : لو احتجت لمساعدتى يوماً فسوف أقف  
إلى جوارك بروحى وقلبى .

## الفصل السادس

وكان قد مر على مغادرة أبي وأمي ما يقرب من أسبوع ، وفي هذا الوقت عقد على أمير بحضور كمال ، وقد اتخذت مراسم كتابة العقد شكلاً بسيطاً ودون أية استعدادات ، وكان قد انتابني إحساسان بالغم والسعادة معاً ، السعادة بسبب الرابطة الطاهرة والعميقة ، والغم بسبب غياب الأب والأم عن مراسم زواجي ، ولم يغب شكل وجهيهما لحظة واحدة عن عيني .

وكانت أحاديث أمي تتردد في أذني حينما كانت تقول : أتمنى أن أراك في ثياب العروس .

وفي بعض الأوقات كان أبي يستغرق في التفكير ثم يضحك ويقول : عندما تتزوجين يا بهاري ، فإننا جميعاً سوف نحتار ولكن الآن لا الأب إلى جوارى ولا الأم .

فسالت دمعاتي الحارة على وجنتي ، وعلى الفور جففتها بطرف حجابي ، وحتى لا يحزن أمير عند رؤية بكائي ، نظرت إلى وجه كمال ، فبدت هالة من الحزن والسعادة معاً مرسومة على وجهه، وربما كان يفكر في تلك اللحظات في سالارخان وغضبه ،

ولما أنه كان يخدمه خلال هذه السنوات الطويلة ، فقد كان يعرف سيده أفضل من الآخرين .

وربما كان يقول لنفسه : هذه لحظات الهدوء قبل هبوب العاصفة ، ومن شدة سعادة أمير لم يبعد عينه عنى ، وبعد إتمام حفلة كتابة العقد ، وضع فى يدي خاتماً جميلاً على شكل قلب ومرصعاً بالفصوص الماسية وقال هامساً : أعدك بأن أحاول إسعادك حتى آخر العمر ، فأجبت عليه ضاحكة ، أعدك أن أكون وفية لك حتى آخر نفس .

فضحك وقال : ضعى عينى أمام عينيك .

وبعد توقيع قسيمة الزواج والانتهاء من الأمور القانونية لكتابة العقد ، تركنا المأذون وتوجهنا إلى المنزل معاً ، ذلك المنزل الذى استأجر فيه أمير غرفة لنا ، وخلال الأسبوع الذى قضيته إلى جوار حبيبى ، كان أمير قد أحضر كل شئ لحياتنا الأولى ، وبمجرد دخول زوجى الحجرة قلت له : أحسنت ، وكان أمير يطلب العذر عن الإمكانات القليلة التى كان قد وفرها لنا فيقول : حبيبتى بهار هذا كله شئ مؤقت ، إذ إننا لن نبقى هنا طويلاً ، فضحكت وقلت : إن وجودك إلى جوارى هو الشئ المهم فأنا لم أتزوج من أجل الثروة والمال .

فقبل يدي وقال : أنا فخور بإحساسك هذا ومعرفتك ، وسأندوق جيداً مدى السعادة التى أدخرها الله لى ، وقضينا أول



أيام حياتنا المشتركة وسط ذلك الأثاث البسيط فى لهو كأننا توءم ،  
وكنـت أعتبر نفسى أكثر نساء الدنيا حظاً ، ولم أكن أرغب فى أن  
أذهب إلى بيت والد أمير ، ومرت الحياة هادئة دون قلق ، وأعتبر  
أن تلك الأيام هى أجمل لحظات عمرى ، وأحياناً كان يأتى  
لرؤيتى السيد كمال ، ولكنه لم يخبرنى قط عن أحوال أبى وأمى ،  
وانقضت ثلاثة أشهر ، أفضل أيام عمرى بلا مشاكل قط ، حتى  
اختل حال مزاجى شيئاً فشيئاً ، وكانت حالة (الترجيع) باعثاً على  
أن أرجع إلى الطبيب . وفهمت بعد الكشف على أننى حامل فى  
شهرين ، وذات يوم وقت الغروب سقطت مغشياً على فى أحد  
أركان الحجرة ، وبمجرد أن رآنى أمير فى تلك الحالة بدا عليه القلق  
وسأل : هل أنت بخير يا بهار ؟

فأجبت بهدوء : لا شىء .. لا تقلق .. فقط قليل من الغثيان .  
ونظر إلى نظرة متفحصة وقال : إذن ، لماذا تبدين شاحبة ؟  
انهضى لآخذك إلى المستشفى .

قلت : اليوم فى الصباح ذهبت للدكتور .  
فدهش ونظر إلى وقال : ماذا .. أذهبت للدكتور ؟ إذن لماذا لم  
تخبرينى بذلك ؟

فضحكت وقلت : انتظرت الوقت المناسب حتى أخبرك .  
فسأل فى عجلة : حسن تحدثنى لئرى ما سبب تعبك ؟

ففكرت قليلا وقلت : لقد أصبحت حاملاً ..

فسعد كالأطفال وقال : أحقاً ماتقولين يا بهار .. الحمد لله ..  
لقد أصبحت أباً .

وفى ذلك اليوم استغرق فى حلم جميل للأبوة لدرجة أنه نسي  
حالتي السيئة .

وراح يقترح الأسماء المختلفة له ، ويتحدث عن لحظة ميلاد  
الطفل ، فضحكت وقلت : لاتخبر أحداً يا أمير عن ميلاده أبداً .  
فقال ضاحكاً : أغمضى عينيك .. وأتمى تسعة أشهر ، وعندئذ  
ستقولين لقد مر شهران وبقيت سبعة أشهر ، فنظرت إليه متحسرة  
وقلت : ليتنى مثلك متفائلة إلى هذا الحد ياأمير ... ولكن لاأعرف  
لماذا الحزن الثقيل يجرثم على صدرى ؟! وحاولت بقدر ماأستطيع  
أن أتعلل فى حزنى بفراق أبى وأمى ، ولكن الإحساس الغامض  
قد جعلنى متشائمة من المستقبل ، واعتبرت أن كل تلك اللحظات  
شيئاً مؤقتاً وليس ثابتاً ، ونظرت إلى أمير الذى صمت فجأة  
واستغرق فى التفكير ، فسألت : ماذا حدث ؟

أجاب : لا .. فقط أحس أنه حان الوقت الذى أخبر فيه والدى  
وأمى بزواجنا ، فلا يجوز أن يظلا أكثر من هذا وهما لايعرفان ،  
خاصة وأنه الآن أصبح لهما حفيد .

وعندما سمعت أحاديث أمير ، خفق قلبي ، وارتعد كياني كله ، فقلت في نبرة مضطربة : الآن ما زال الوقت مبكراً ، فاصبر قليلاً حتى تستقيم حياتنا ، وبعد ذلك أخبرهما .

وفكر وقال : لا ، لا .. هذا لا يجوز .. وهل تعيشين على هذه الحالة داخل هذه الحجرة الحقيبة ؟ علاوة على أن لي حقاً في العمارة الكبيرة ، وبالنسبة لك لا تقلقي ، وبمجرد أن يعرف أبي أن له حفيداً ، سيصفح عني ، وسوف أذهب لرؤيته غداً بعد الظهر ، وسأحدثه بالتفصيل ، فاستعدى أنت أيضاً ، فإذا كانت الأوضاع على مايرام ، أتيت لك حتى نذهب معاً إلى المنزل .

ونظرت إلى سقف الحجرة طويلاً وقلت : ياإلهي ، الاعتماد عليك فالحق مع أمير .. وحتام يستطيع أن يخفى هذا الأمر عن والديه ؟ ففي النهاية سوف يضطر يوماً أن يخبرهما بكل شيء .

وفي تلك الليلة ظللت أفكر حتى منتصف الليل في موضوع ذهاب أمير إلى منزل أبيه ، ياإلهي حل أنت هذه المشكلة ، وكنت أدعو بهذا بينما لم أكن أصدق أن ذلك الرجل الفظ الغليظ القلب الذي كنت قد سمعت عن قساوة قلبه حكايات يمكن أن يدعنا وشأننا بسهولة .

وكان سالارخان هو الشخص الذى قد دس السم لشقيقته الوحيدة من أجل الاستيلاء على أموالها ، تلك المرأة المسكينة التى حرمت من نعمة العقل عمراً طويلاً ، والشخص الذى لم يكن قد رحم شقيقته ، كيف كان يرحمنى وأنا لأساوى فى نظره شيئاً ؟

وكان والد أمير ذلك الرجل الذى كان يحكم مصير العديد من الناس بالقوة والجبروت والمال ، الآن كيف لهذا الرجل أن يصبح رءوفاً حتى يعفو عنا من أجل الطفل الذى حملته فى بطنى ؟ ومنذ ذلك اليوم الذى أخبرنى فيه السيد كمال بحادثة وضع السم للعمة قمر ، ظلت مشغولة بالجرم الذى كان قد ارتكبه سالارخان بيديه ، ولكن لم تواتى أحد الجرأة حتى يعارضه ويظهر حق تلك المرأة المسكينة .

وبينما كانت الساعة تشير إلى الواحدة بعد الظهر ، ارتدى أمير ملابس أنيقة ، وراح ينظر إلى نفسه فى المرآة فى سعادة وفى الوقت نفسه الذى كان قد وقف فيه أمام المرآة ، نظر إلى وقال : اليوم اهتمى بأمرك .

وأود عندما يرى سالارخان عروسه ، أن يتملكه العجب والدهشة من الجمال الزائد الذى لا يحتاج إلى أية زينة ظاهرية ، وسأذهب الآن يابهار .. وسأوضح لهما الموضوع بالتفصيل ،

وعندما تستقر الأمور ، سوف آتى إليك .. وعلى كل لاتقلقى أصلا ، فعندما يفكر أبى فى هذا الأمر لن يجادل .

وعندما ودعنى أمير وخرج من باب الحجرة ، ودعته بنظرة حتى باب الفناء ، وكنت أرغب فى أن أطلب منه قائلة : لاتذهب ولا تعكر صفونا ، ولكننى لم أكن قادرة على الكلام ، وكأن قوة خفية ألجمت لسانى .

وبعد أن ذهب أمير ، ارتديت الملابس الأنيقة ، وأعددت أفضل حجاب لى ، كما وضعت أمتعة قليلة فى حقيبة اليد ، حتى إذا أتى أمير لايتعطل ، وفى ذلك اليوم وبعد ليلة ممطرة نشرت الشمس الجميلة أشعتها فى أرجاء الفناء .

وكانت قد مرت ساعتان على رحيل أمير ، فنظرت إلى ساعة معصمى ، فكانت الساعة تشير إلى الثالثة وعشر دقائق بعد الظهر .

وحدثت ثورة داخلى ، كما أن كثيراً من الهواجس قد تملكتنى ، وكأن صوت الأب يتردد فى أذنى حينما كان يقول : ليس الزواج الذى تضيعى فيه أسرتك ، وأتى طيف وجه أمى أمامى حيث يقول : إنك تلعبين بالنار يا بهار ، فنظرت حولى فسمعت فى ذلك الوقت صوت طرقات قوية على باب الفناء ، وكأننى أطرت سوستة

من مكانها ، فذهبت نحو باب الفناء بسرعة ، وفتحت الباب فوجدت السيد كمال أمامي ، وكان قد وقف مضطرباً شاحب الوجه ، فعندما رأيت وضعه المضطرب ، أصابني الهلع ، فسألته بسرعة :

ماذا حدث يا عم كمال ؟

ويبدو أنه كان قد جرى مسافة طويلة ، إذ كان لا يستطيع أن يلتقط أنفاسه ، ويتحدث بصعوبة ، وكان يبكي بحرقة وأخذ يلطم رأسه بكلتا يديه وقال : حظك أسود يا بهار .. أسرعى يجب أن نهرب .

فنظرت إليه مضطربة ، وأخذت ألطم خدي وسألت : نهرب ؟ لماذا ؟

فصاح : أسرعى ، وضعى حجابك على رأسك ، فينبغى أن نذهب الآن من هذا المكان . لا تتأخرى فإن خدام سالارخان سيتعقبونك ، فلو عثروا عليك سيقتلونك ..

وعلى الفور جرّيت إلى الحجرة وأخذت حجابى وحقيبة يدي وابتعدنا بصحبة كمال من ذلك المكان ، ونحن نجرى ، وقد أمسك الرجل المسن المسكين بيدي من الخوف وكان يشدني وراءه ، ووصلنا إلى مكان بعيد وخال : ووضع كمال صرة الملابس التي

كان يحملها فى يده فوق الأرض وانخرطى البكاء ، فهذا قليلا  
فسألته : تحدث لنى ماذا حدث ؟

وبينما كان قد اتكأ على الجدار ، نظر إلى نصف نظرة وقال :  
لقد دخل أمير الحديقة منذ ساعة ونصف الساعة ، وفتحت أنا  
بنفسى باب الحديقة له ، ثم ذهبت نحو العمارة لقضاء أمر ،  
فرايت أن الخدم قد وقفوا فى ركن من الأركان ، بينما كان يسمع  
من خارج العمارة صوت سالارخان وشتائمهم ، وراح يشتم أباك  
ويهدد أميرا بالموت ، فارتفع أيضاً صوت أمير عالياً ، وسمعت أنه  
قال لأبيه :

أنا لست مثل العمدة قمر ، فإن كنت قد أجهزت عليها ، فلن  
أسمح لك بأن تمس زوجتى ، وشيئاً فشيئاً زاد العراك بينهما حتى  
انطلقت من بندقيته طلقتان ، فذهب الجميع إلى الصالة الكبيرة ،  
بينما كان أمير المسكين يتلطح فى دمائه ، وكان قد وقف  
سالارخان مثل نمر غاضب ببندقية ، وراح يشتم ويلعن ، وعلى  
الفور نادى عدداً من أجرائه وأمرهم قائلًا : حيثما وجدتم البنت  
اقتلوها ، فلا يجب أن توصم أسرتى بالعار ، وعندما سمعت  
أوامر سالارخان ، لم أتوقف ، وخرجت قبل الجميع متخفياً من  
باب الحديقة حتى أنقذك .



وبعد أن سمعت القصة ، تدحرجت فوق الأرض مثل ثعبان جريح ، وأخذت أشد وجهى بأظافرى ورحت أبكى ، وأنظر كالمجانين فى كل ناحية ، وظللت لمدة ساعة كاملة لا أحس بجوارحى ، وكنت أضع التراب على رأسى مفزوعة وفى دهشة من أمرى .

وأخذت أبكى بحرقة قائلة : يا إلهى ، لماذا أخذت منى أميراً الآن ماذا أفعل ؟ والى أين ألتجأ ؟ .. يا إلهى أهذا مصيرى الذى أصبح من نصيبى ؟ يا إلهى ماذا أفعل ؟ يا إلهى ماذا أفعل ؟ وأخذ كمال يبكى معى وكان قد وضع منديله فوق وجهه وراح يبكى بحرقة شديدة ، كما أخذت أبكى أنا فى هذه المنطقة الخالية بحرقة شديدة أيضاً .

وأمسك كمال يدى وقال : انهضى يابتنى حتى لا تتأخرى ، إذ يجب أن تغادرى المدينة ، وإلا فإن رجال سالارخان سوف يعثرون عليك ، وينبغى على أيضاً أن أذهب إلى القرية بأسرع ما يمكن حتى أنقذ أباك وأمك ، فلو تأخرت قد يظنون أنهما قد أخفياك فيقتلوهما ، حقاً ماتقول ياعم كمال ، فكل فعل من أولئك الرجال المتوحشين جائز . وكان يجب على أن أفكر على وجه السرعة ، ولكن والأسفاه ، لم يعد لدى قدرة على السير ، ومع هذا الوضع

المضطرب فكنت أشبه إلى حد كبير المجانين أكثر من الأفراد العاديين ، وقد وصلت مع كمال حتى جراش الأتوبيسات ، وتحرك الأتوبيس الجاهز نحو أصفهان ، وحجز الرجل المسن المسكين مقعداً لى وأركبني الأتوبيس ، وانطلق هو مسرعاً إلى ناحية أخرى حتى يذهب إلى القرية .

وظللت أبكى طول الطريق حتى أصفهان فى صمت وقلت لنفسى : ياليتنى مت بدل أمير ، على الأقل لن أقض بقية عمرى متشرده ، ياإلهى : اقتص أنت من ذلك القاتل القاسى ، فأى ذنب جنيناه حتى غدونا ضحية مثل هذا العقاب ؟ والآن أنا وحيدة مع هذا الطفل الذى أحمله فى بطنى فماذا أفعل وأين أذهب ؟ ولا أعرف أحداً فى أصفهان ، ومن ناحية أخرى فقد طردنى الأب ولم أذهب إلى والدى حتى لايتعرضا للخطر ، وفى منتصف الليل كان الأتوبيس قد دخل أصفهان .

وفى نهاية الرحلة اضطرت لأن أنزل من الأتوبيس مثل سائر المسافرين ، وفى تلك اللحظة فقط أدركت ألم الغربة ومعاناتها ، وكانت البرودة القارسة قد سرت فى جسمى كله ، فأخذت أرتعد كالصفصاف ، وكنت أنظر إلى كل مكان باحثة عن ملجأ ، وفى ذلك الجو البارد لم يكن يرى أى شخص فى الشوارع ،

إذ إن المسافرين جميعاً قد اختفوا في غضون نصف ساعة ، فتوكلت على الله وسرت في طريقى ، وبينما لم أسر مسافة طويلة حتى رأيت ورود المسجد فحمدت الله وتوجهت نحوه وقلت لنفسى : المسجد أفضل مكان يمكن أن تلجأ إليه امرأة وحيدة ، وكان المسجد مغلقاً ، فطرقت باب المسجد بقوة عدة طرقات ، وكان يرى بالخارج ضوء خافت داخل فناءه ، وفي النهاية فتح لى ذلك الرجل المسن الخير باب المسجد ، ومن العناء كنت أبكى باستمرار وطلبت برجاء : خذ يدي ، وفكر قليلاً ، وآوانى داخل المسجد ، وبعد ذلك اصططحبنى إلى موضع الصلاة ثم انصرف ، وفي تلك الليلة أخذت أبكى بمرارة فى هذا المكان الخالى ، وتذكرت حينئذ غربة السيدة زينب وسط أطلال الشام ، وقلت لنفسى : الآن أحس جيداً بمعاناة تلك السيدة وآلام غربتها ، وظللت أبكى طول الليل حتى إشراقة الصباح ، وطلبت من تلك السيدة (زينب) المدد حتى أغمى على ، وعندما فتحت عيني وجدت عجوزاً حنوناً تسقىنى بكوب به ماء سكر فتحسنت حالتى قليلاً .

ووفقاً لاقتراح الحاج كريم وبمساعدة تلك العجوز الحنون وبمساعدتكما أيتها الأخت وأيها الأخ ، قد تحسنت ، والآن أنا امرأة وحيدة أحمل طفلاً فى بطنى ، وهو الشىء الوحيد الذى

يذكرنى بفترة السعادة القصيرة فى حين ليس لى منزل أو زوج  
أو أب أو أم ، فأنا غريبة ووحيدة .

والآن ، قد عرفتم قصتى كلها ، فلو أنكم مازلتُم ترغبون فى  
وجودى ، فسوف أخدمكم بإخلاص كخادم مخلص ، فقط لى  
طلب واحد هو أن تحفظوا سر حياتى .

وهذا المطلب ليس خوفاً من خطر قد يهدد حياتى الشخصية ،  
بل من أجل المحافظة على هذا الطفل ذلك التذكار الوحيد لأمير ،  
وأنا مستعدة للمحافظة على روح هذا الطفل أن أضحي بروحى  
من أجله ، ولن أضن عليه بشيء لإسعاده .

ونظرت شيرين إلى وجه بهار حائرة ، ثم بادرت وقالت :  
نعدك أنا ومعين أن تكونى فى حمايتنا لنرعاك أنت وطفلك ،  
وأظن أن الله أو كل إلينا وظيفة رعايتك ، وقد جعل الحاج كريم  
سبباً فى هذا الأمر ، ومن اليوم فصاعداً ، أنت أخت لنا فى الدنيا  
والآخرة ، وأية مساعدة تحتاجينها اطمئنى لن نبخل عليك بها ،  
وظللت فى تلك الليلة أفكر حتى منتصف الليل فى سيرة بهار  
المحزنة ، وسألت نفسى : هل هناك إنسان بهذه الدرجة من  
القسوة ؟

كيف أن ذلك الرجل يدمر حياة شابين بريئين بقسوة قلبه ؟  
وكان سبب مرور هذه الأسئلة فى ذهنى أننى اعتقدت أن جميع  
المزايا من الله سبحانه ، ونحن نختلف عن بعضنا كأفراد فقط من  
حيث الفهم والإحساس ، فلا الثروة دليل على تفوق الأشخاص ،  
ولا الفقر علامة على افتقاد الشخصية .

وإن الأفراد قصار النظر ذوى الفكر البالى هم فقط الذين  
يفرقون بين الأفراد فى هذه الموضوعات ، فمن ولد ثرياً ؟ ومن  
أخذ ثروته معه إلى القبر ؟

وكان النوم قد طار من عينى بسبب الضيق والتفكير فى هذه  
المرأة الشابة البريئة التى تحملت كثيراً من العناء ، فقلت لنفسي :  
ينبغى أن نبدى كل احترام وتقدير خلال رعاية هذه المرأة  
ومساعدتها ، والقدر المسلم به أن بهار امرأة متعلمة ، وأنها كانت  
تستطيع أن تستفيد من شهادة الدبلوم بشكل أفضل ، ولكن  
للتحكم فى أعصابها والاعتماد على نفسها ، فإنها تحتاج إلى وقت  
طويل حتى يوصلها إلى بر الأمان فى هذا البحر المتلاطم بأمواج  
الأحداث .

وتعبيراً عن مساعدة زوجتى فأول خطوة قمنا بها هى إشغال  
بهار بالعمل ، فأسسنا داراً صغيرة للسجاد فى غرفتها ، وعلمتها

شيرين طريقة النسيج بصبر وجلد فائقين ، فكنا نعتقد أنا وزوجتي أن العمل هو أفضل شىء لإشغالها ، ومن حسن الحظ فقد وفقنا فى ذلك .

وبتشجيع شيرين لها أبدت بهار استعداداً لأن تذهب بصحبة شيرين عدة مرات إلى مقر المسجد ، وكان هذا التردد على المسجد سبباً فى أن تدعو الجمعية الإسلامية للمسجد بهار من أجل تدريس القرآن واللغة العربية ، ومن خلال مساعدات الحاجة رضايى والحاج كريم ووقوفنا نحن إلى جانبها ، بدت علامات الثقة بالنفس تظهر على بهار بمرور الوقت ، خاصة وأنها كانت تحصل على راتب شهرى من الجمعية المذكورة .

ومع مرور الأيام والتفاهم الزائد ، فقد توثقت علاقة شيرين ببهار كشقيقتين حتى أن الجميع يعتبرونها أختين ، خاصة وأن شيرين كانت تقدمها إلى جميع الأفراد باعتبارها الأخت الصغرى لها .

وكانت بهار فى ذلك الوقت قد أتمت شهرها السادس فى الحمل ، وكانت الحياة لثلاثتنا حلوة ومُرضية ، وفى أحد الأيام عصراً ، أتت شيرين إلى عملى فى السوق مضطربة ، وكانت هناك بسمة على شفيتها تنم عن بشرى عظيمة ، ومن شدة السعادة لم تهدأ حتى تحدثت بلا مقدمات وقالت :

لدى بشرى يا معين .

اليوم كنا نتحدث بعد غدائنا أنا وبهار ، وقلت لها أثناء الحديث أننا حُرُمنَا من نعمة الأُطفال ، فحزنت جداً عند سماعها هذا الخبر ، وأخذت تفكر لمدة نصف ساعة ، ولم تتحدث مطلقاً ، وفى النهاية بدأت الحديث .

فقلت : هل أنت يا شيرين والسيد يزدى مستعدان لأن تتبنيا طفلى ؟

وعندما سمعت هذا الاقتراح انعقد لسانى ، وأساساً لم أكن أعرف ماذا أقول لها ، وتساقطت دموعى فقط ، ونظرت إلى بشكل مباشر وقالت : أنتم أناس شرفاء وطيبون ، وسأطمئن على أن طفلى يعيش فى كنفكما ، فى حين أننى مضطرة لأن أعود إلى أبى إذ إننى لم أنسه قط ، وسأعلن دوماً ، بل وأحب أن لا يعرف هذا الطفل أصله أو نسبه .

والآن ، فإن هذا الطفل قد تيم قبل مولده ، ومن الأفضل أن أتحمل هذا الحزن الثقيل بمفردى ، ومن ناحيتى فإن لى هدفاً من وراء ذلك وهو أننى سأضطر من أجله لأن أتخلى عن جميع علاقاتى الدنيوية التى تربطنى به .



فلو رغبتما فى أن تتبنيا طفلى يجب عليكما أن تعطيانى كلمة شرف حتى لا يأتى يوم لضرورة ما ويعرف هذا الطفل أصله الحقيقى ، فيجب على طفلى أن يظن أنه ابنكما حتى آخر العمر ، وأن يفخر بالسيد يزدى سواء كنت على قيد الحياة أم ميتة .

وبينما كانت شيرين تعيد لى حديث بهار كانت عيناها مملوءتين بدمع التشوق ، ثم قالت : ليتك كنت أنت ، ورأيت بنفسك كم كانت بهار تتحدث هذا الحديث بمصداقية ، وإلى أى مدى كانت تثق فىنا حتى أنها تخلت عن حقها فى طفلها .

والآن لم يتبق سوى قرارك ، فلو وافقت لم تعد هناك أية مشكلة فى سبيل تبنى طفل .

والآن ، فإن وجه شيرين ونبرة صوتها ، اتخذتا شكلاً أكثر من مجرد الطلب أو الرجاء ، حتى أنها بدت متغيرة على غير عاداتها نحوى ، فخرجنا من غرفة العمل معاً وأغلقنا الباب خلفنا ، ووصلنا إلى المنزل على وجه السرعة ، وكانت بهار دائماً شخصية متسمة بالوقار ، وكانت هذه المرأة شخصية متزنة ونجيبة لدرجة أننى تمنيت أن تكون كل نساء العالم مثلها .

وجلسنا نحن الثلاثة فى الغرفة التى كنا نتجمع فيها فى أغلب الأوقات ، وكان بريق الفرحة يلمع فى عيني شيرين ، وكانت ترى آثار الرضى من اتخاذ هذا القرار فى عيني بهار بشكل واضح .

كما أن شیرین وبہار قد اتخذنا قرارہما ، وكان واضحاً تماماً  
أنہما يفہمان بعضہما البعض بشكل كافٍ .

وبادرت بالحديث وقلت : بہار ہانم أختی ، لقد تحدثتما  
كثيراً فی شأن إيداع الطفل لنا حتی أن شیرین شرحت كل هذا ،  
وفيما يتعلق بالتعهد الذی أردته منا ، ومن وجهة نظری أنه منطقی  
وعادل .

وذلك لأنه لو تبینا الطفل ، ثم كشفنا عن نسبه وأصله لأحد،  
فإن الطفل سيشأ لديه عقدة نفسية متمثلة فی الشعور بالدونية  
والوضاعة ، إذن مطلبك معقول جداً وأنا وزوجتی ننظر إليه بعین  
المنة ، وفي الوقت الذی كنت أتحدث فيه كانت بہار تبکی  
باستمرار . فأشفقت علیها وقلت : لا ينبغي أن تعترضی علی  
المشيئة الإلهية إذ نسلم جميعاً بالمصير الذی قدر علينا منذ الأزل ،  
وينبغي علينا فقط الاعتماد علی الله والتمسك بالأمل ، كما أننا  
نتقدم فی الطريق الصحيح ، والحمد لله : بإرادتك القوية  
وأخلاقك الرزينة تغلبت علی مشاكلك إلى درجة أن بعض النساء  
ذوات النفوذ فی الجمعية يحاولن أن ينهين أمر الوظيفة الرسمية  
لك فی إدارة الثقافة بشكل سريع ، ورفعت بہار رأسها قليلاً  
وقالت : أكثر الله من أمثالكما إذا إننی كنت أفكر مع نفسي دائماً  
: لو أن الله لم يضعكما فی طریقى ماذا كان حالی الآن ؟

فقاطعتها وقلت : لقد قلت نفسك لو أن الله ... إذن سوف  
نعود إلى ما هو مكتوب ومقدر ، اطمئني فقد كان مجيئك إلى  
منزلنا من الأمور الإلهية المقدرة .

فقلت شيرين التي سكنت لحظة لكي تصغي لأحاديثنا :  
فليجعل الله الطفل شبيهاً بهار ... عندئذ سأقول للجميع إن  
طفلي شبيه بخالته ، فتبسمت بهار بسمة تنم عن رضاها وبدأت  
آثار الاطمئنان واضحة على وجهها .

وأتت بهار الشهر السابع في حملها ، وواكب هذا وظيفتها  
الرسمية في إدارة ثقافة منطقة أصفهان ، ولن أنسى أبداً اليوم  
الذي كانت تقرأ فيه قرار وظيفتها سواء بالنسبة لى أم لشيرين  
وكأنها أختى التي ولدتها أمى مرة أخرى ، كما أن الحماس  
والاستعداد كان فى كلامها لا يمكن وصفهما ، وكان مقر تدريسها  
( مدرسة التوحيد الثانوية بنات ) الواقعة فى نجف آباد ، وكان  
ينبغى عليها أن تدرس الدروس العربية والدينية فى تلك المدرسة ،  
وكانت الحياة تبسم مرة أخرى فى وجه بهار ، وأشرق  
صباح الأمل فى وجهها ثانية ، واقترحت عليها أن تذهب إلى  
قرية والديها ثم تحضرهما إلى نجف آباد ، ولكنها أكدت قائلة :  
إن هذا الأمر أو الاقتراح ليس صواباً فلو عرف سالارخان مقر  
إقامتى ، فإنه سيقتلنى ، وبالتأكيد إنه جند بعض الرجال فى القرية

أن يخبروه إذا عرفوا شيئاً عني . علاوة على أن أبى وأمى قد تعودا غيبتى ، وليس لازماً أن أقلق راحتهما ثانية .

وأظهر توضيح هذه الأمور بالنسبة لى من قبل بهار أنها عازمت على أن تبدأ حياة جديدة ، ، ولهذا السبب عازمت أن لا أذكرها بذكريات الماضى المريرة مرة ثانية .

وكان قد اقترب موعد بهار ، وقد استفادت من إجازة الوضع انتظاراً لموعد وضعها ، وفى النهاية دنا اليوم الموعود ، وبالفعل فى غروب يوم من أيام الصيف وضعت وليدين ، فدهشت أنا وشيرين من أمر الله وأخذنا نشاهد الأطفال ، وكانت رؤية حركة الطفلين قد أسعدتنا إلى درجة أننا لم نكن نشعر بمرور الوقت .

وكانت ترعى شيرين بهاراً وقلبها ينفطر ، وكانت تداوم على رعاية الطفلين فى شوق زائد ، وشيئاً فشيئاً استردت بهار عافيتها ، وفى هذا الوقت استخرجت شهادتى ميلاد باسم شهاب يزدى وشاهين يزدى ، وكان قد مرت أربعة أشهر على ميلاد الطفلين واستأجرت حسب طلب بهار بيتاً صغيراً لها فى نجف آباد بأصفهان ، وعلى الرغم من أننا لم نكن نرغب فى رحيلها ، ولكنها اعتقدت أنه آن الأوان لأن تتعود على فراقهما حتى يأنسا إلى وإلى شيرين كما ينبغى .

ومهما يكن من أن انفصالها عن طفلها يُعد مشكلة كبيرة إلا  
أنها أثناء توديعها طفلها قبلتهما وقالت :

إننى مطمئنة لأن ماما شيرين وبابا معين سيرعانكما بشكل  
أفضل منى ، وقد أبكتنى مقولة بهار هذه .

وفى تلك الأثناء كانت عينا بهار قد اغرورقتا بالدمع  
واحمرّت وجنتاهما .. وأثناء مغادرتها منزلنا كانت دوماً تشنى على  
صنيعنا من باب الاعتراف بالجميل وكانت تقول : لن أنسى  
عظمتكما ما دمت حية ، وكان رد فعل وجه بهار أثناء الرحيل  
يدل على هذا ، وهى أنها تعد نفسها لهدف سام أكثر مما كنا نفكر  
فيه ، و كان هذا التفكير قد أشعرنى بالقوة التى أحسست بها فى  
كلماتها النارية عن الاستعداد القومى فى سبيل مكافحة الظلم .

واصطحبتها حتى الأتوبيس الذى كان متجهاً إلى نجف آباد ،  
وأهديتها قرآناً صغيراً كتذكّار لها ، فقبلت القرآن ووضعتة فى  
حقيبة يدها ، وتوجهت إلى نجف آباد .

و كانت الأيام تمر يوماً بعد الآخر ، وكانت الحياة قد بدأت  
فصلاً جديداً من فصولها أمامنا ، وكان وجود الطفلين فى المنزل  
قد ملأه سروراً وسعادة ، فكانت تلك اللحظات أفضل أيام  
عمرى ، وكانت بهار تقضى يوماً كل أسبوع فى بيتنا ، وكان

وجودها وسط أسرتنا قد ملأ البيت بهجة وسروراً ، وعندما كان  
الطفلان يناديان عليها خالة بهار ، كانت تغمرها السعادة ، ولكن  
شيئاً فشيئاً استغرقت فى الاطلاع على الكتب المختلفة والقيام  
بالتدريس حتى أن زياراتها الأسبوعية لم تعد تتم إلا بعد شهر .

وشيئاً فشيئاً عرف اسم ( بهار قشقاى ) لدى أكثر المثقفين ،  
وقد أثارت نجابة هذه المرأة الشابة وشهامتها وجرأتها دهشة جميع  
محببيها ، ويوماً فيوماً كان يتزايد عدد أتباع خطبها فى المساجد  
والمحافل الدينية ، وكان عدد كبير من المتعلمين من مريديها دون  
جدال ، كما أن أنشطتها السرية ضد الحكومة أصبحت معروفة  
للجميع لفترة طويلة ، وكنت أقول لنفسى إن بهار عادت ثانية  
للعب بالنار ، وعندما كانت تأتى لرؤيتنا فى أصفهان كنت  
أحاول أن أخبرها بالخطر العظيم الذى كان يهددها ولكنها كانت  
دائماً تنظر نظرة تملؤها الإرادة والاطمئنان فتقول : ينبغى المخاطرة  
فى السفر إلى العشق .

ومع أن بهار قد أودعتنا طفليها وتنازلت عنهما كأم لهما ، إلا  
أنها قد وقعت بالفعل وثيقة تنازل لنا عنهما ، وكانت تسير وسط  
النار كسيدنا إبراهيم دون أن يتطرق أى خوف لها منها ، وفى أحد  
الأيام كنا قد ذهبنا مع شيرين والأطفال لرؤيتها ، فاستغرقت فى  
مشاهدة كتبها التى وضعت فى أحد أركان حجرتها الصغيرة



وكأنها كانت تريد أن تبحث عن كل أنواع الجمال فى الدنيا من خلال صفحات تلك الكتب ، وكانت نظرتها وكلامها وشخصيتها التى لا مثيل لها كلها تعبر عن حرية المرأة المسلمة والإيرانية الأصلية .

كما أن النساء اللاتى هن فى تاريخ هذه المنطقة أكثر من أن يحصرن وبعد رؤيتها فى ذلك اليوم ظللنا فترة طويلة لم نكن نعرف عنها شيئاً ، باستثناء أنه فى بعض الأوقات كانت الأنشطة المذهبية والأخبار الأخرى لبهار تصلنا عن طريق نساء المسجد ، وذات يوم وتحت إلحاح شيرين ذهبنا إلى نجف آباد حتى أحضرها معنا لقضاء عطلة الخميس والجمعة فى أصفهان ، وعندما رأيت القفل الكبير معلقاً على باب الفناء ، اضطربت اضطراباً شديداً ، وجالت آلاف الأسئلة فى رأسى ، ومن حسن الحظ أن منزل زوجة صادقى التى كانت تعتبر من زميلات بهار ومن أصدقائنا ، كانت تعيش فى الحى نفسه فتوجهنا إلى منزلنا فضغطنا على جرس الباب ، ففتحت زوجة صادقى باب الفناء وبمجرد أن رأتنا أصابها الهلع .

وبعد السلام والسؤال عن الأحوال ، أخذت تنظر حولها ودعتنى لأن أدخل المنزل ، وبمجرد أن رأى السيد صادقى أقبل علينا وأخذنى حتى غرفة الاستقبال ، وبدون أية مقدمات استفسرت عن بهار ، فنظر إلى الزوج والزوجة نظرة متشككة



فكانت هذه النظرة باعثًا على اضطرابي أكثر ، فسألت ثانية هل حدث شيء يا هانم ؟

فأجابت : بالأمس كانت الساعة الرابعة بعد الظهر ، وكان موضوع حديث بهار دعوة البنات إلى المحافظة أكثر على ارتداء الحجاب والقيم الإسلامية ، وشيئًا فشيئًا خرج موضوع الخطبة عن حدها العادي ، وتطرقت بهار للموضوعات المحظورة التي لا يجب لأى أحد أن يخوض فيها ، وعبرت عن ذلك فى جمل نارية ثورية ، فأصغى لها جميع الحاضرين مشتاقين إلى خطبتها ، وفى تلك اللحظات لم يستطع أى شخص أن ينبهها لذلك ، وساد الصمت القاعة بسبب كلمات بهار الثائرة ، وفجأة دخل القاعة عدد من الرجال يرتدون ملابس خاصة ، وفى طرفة عين أخذوا بهار معهم ، وقد تم هذا الإجراء على وجه السرعة حتى أنه لم يستطع أحد أن يبادر بأى رد فعل تجاهه ، وبعد عدة لحظات ، اجتاح موظفوا المحافظة القاعة ، وبعد ضرب الناس وشتمهم اقتادو معهم عددًا من الفتيات اللاتي كن يستفدن من بهار كشعار لأفكارهن .

واليوم فى الصباح فتش عدد من هؤلاء الرجال منزل بهار وحملوا معهم عددًا من الكتب والأمتعة ، واستدعى مدير المدرسة الثانوية فى اليوم نفسه إلى إدارة الثقافة ، وأشيع بين الكتاب أن بهار قد وقفت مع الجماعات الإسلامية ضد النظام .

وفى الوقت الحالى لا يعلم أى شخص موقف بهار أو مكانها ولا شك أن أماننا وقتاً طويلاً لكى نواصل كفاحها ، ولكن لما أن مدرسة التوحيد الإسلامية كانت تستفيد من المناخ الإسلامى ، فقد كانت تدافع عنها باستمرار ، وعندما سمعت هذا الموضوع من امرأة صادقى ، تبيست فى مكانى .. وقلت أخيراً أحرقتها النار التى كانت ( تلعب بها ) ونهضت دفعة واحدة وودعت أسرة صادقى وخرجت من الباب ، ولكن لم أجرؤ على الذهاب إلى البيت ولم أستطع أن أنقل هذا الخبر المفزع إلى شيرين .

وكنت أسير بالساعات فى الشارع مضطرباً مندهشاً من أمر بهار ، ولا شك أننى قد لاحظت الروح المتوثبة لهذه المرأة الحرة منذ اللقاءات الأولى وقلت لنفسى : إن إصرار بهار على الزواج من أمير بصرف النظر عن جانب العشق الطاهر فى قصتهما ، كان نوعاً من التمرد العلنى على ظلم سالارخان وجبروته .

ومن ناحية أخرى ربما ما يبدو فى نظرنا خطراً وناراً كانت تعتبره تحقيقاً لهدفها من وجهة نظرها البعيدة ، وربما أن بهار كانت تريد من ( اللعب بالنار ) أن تثبت لنفسها أنها تحقق مبادئها ، وإلا فى ظل هذه الظروف التى يخشى الإنسان فيها من ظلمه ،

كيف لامرأة وحيدة لا سلاح لها إلا سلاح الإيمان وقوة العقيدة ،  
أن تصارع بهذا الشكل أنصار الباطل ؟

ولا مناص من أننى عدت إلى البيت خالى الوفاض من  
الأخبار الطيبة ، وعندما سمعت شيرين بالواقعة التى حدثت لبهار  
بكت لساعات ، ولم تكن لدينا حيلة سوى الصبر والانتظار ،  
الانتظار الذى امتد إلى سنة بل سنوات .

وفى اليوم الذى أرانى فيه كل من شاهين وشهاب شهادتهما  
لمرحلة الدبلوم المتوسطة وهما فى نشوة ، ونظرت إلى درجاتهما  
مندهشاً ، رأيت وجه بهار البرىء بدلاً من وجهيهما ، فبكيت ،  
وكان الولدان يظنان أننى أبكى سعادةً ، لأنهما شغلا على الفور  
بمفارقتنا ، بينما كانت دموعى تتساقط على وجهى بسبب الظلم  
الذى وقع على أمهما الحقيقية .. تلك الأم التى تغاضت عن  
وجودهما تماماً حتى تشغل نفسها بهدف أسمى من عشق الأم ،  
أى عشق الدين والوطن والإنسانية .

وبعد انتهاء فترة الثانوية لشهاب وشاهين فقد اضطررنا إلى  
ترك أصفهان ، ولماذا .. لأن شهاباً قد قُبِل فى الهندسة المعمارية  
بجامعة شيراز ، وأصرت شيرين على أن لا تتركه أثناء فترة تعليمه  
وحيداً ، بينما كان شاهين يعشق بشدة العمل الحر والتجارة خلافاً  
لشقيقه .

وفى السنة الثانية من التحاق شهاب بالجامعة ، توفيت شيرين إثر سكتة قلبية ، وقد ترك موت شيرين أثراً عميقاً على روى حيث كنت أحبها كثيراً ، وقد تسبب هذا الأمر فى أننى قد أصبت بهذه السكتة بعد وفاتها بستة أشهر ، وقد شُلت إحدى قدمى نتيجة هذه السكتة ، ومنذ ذلك اليوم فصاعداً ، بدأت أيام حياتى الصعبة ، وذلك بسبب ألم ملازمة الفراش من ناحية ، وبسبب الحزن على فقد زوجتى الطيبة الحنون من ناحية أخرى .

ولكن الله قد خلق الطبيعة البشرية بالشكل الذى يمكن لها أن تتأقلم مع أى شىء . وعلى الرغم من أن ولدى قد تزوجا بعد عام واحد من وفاة زوجتى أملاً فى التخلص من الحزن والوحدة . ولكن وأسفاه إن الدرر الثمينة التى تشبه شيرين وبهار نادرة الوجود ، إذ إننى سرعان ما أدركت قسوة عروسى الابنين . وتركنى شاهين بعد زواجه على وجه السرعة ، وشُغل بحياته ، ولكن شهاباً قد لازمى فترة طويلة ، حتى اضطر إلى مغادرة بيت الأب بسبب ضغط زوجته المتكرر ، وأهمل الابنان العناية بى كما ينبغى أن تكون العناية والرعاية ، ولكن شيئاً فشيئاً انقطعت هذه العناية تماماً . وفى تلك الأثناء فإن العجوز الحنون التى كانت تتولى شئون منزلى ، قد احترق قلبها وهى تشاهد حالتى هذه وفى

صباح أحد الأيام أحضر البوسطجى رسالة لى من طرف الحاج كريم صديقى القديم .

وطوال السنوات التى كنت بعيداً عن أصفهان ، كنا دائماً نراسل ، وكان هذا الرجل فى أكثر الأوقات يهتم بأمرى من خلال الرسائل ، وفتحت الظرف ، فكان به رسالتان ، فتحت إحدهما فرأيتها من طرف الحاج كريم ، وبعد السلام والسؤال عن الأحوال وجدت أن شخصاً مجهولاً كان قد أعطاه رسالة حتى يوصلها الحاج كريم لى ، وبحثت الأمر ، وفتحت الرسالة الثانية التى كان أحد الأشخاص المجهولين قد أعطاهما للحاج كريم ، ولكن هكذا دهشت إذ إننى قد قرأت الرسالة عدة مرات من بدايتها حتى نهايتها ، فأدركت أن الرسالة الثانية من بهار ، إذ بعد سنوات طويلة من الغفلة كانت هذه أول رسالة لها ترسلها لى .

وكانت الرسالة قادمة من بريد قرية أحمدى فى (بندر عباس) والشخص الذى كان قد أرسل الرسالة إلى الحاج كريم كان والد إحدى التلميذات التى كانت بهار تعلمها فى قريتهم ، وكانت بهار قد كتبت هذه الرسالة ثم سُجنت بسبب أنشطتها السياسية ضد النظام الحاكم ، وحكم عليها بالسجن لفترة طويلة . وأخذت نفساً طويلاً ، ونظرت إلى الرسالة مندهشة وقلت لنفسى : يا إلهى لقد منحت صبراً عجباً لهذه المرأة ، والحقيقة أن إرادتها فى قوة

الجبل وقلبيها فى اتساع البحر .. وانهمرت الدموع من عيني ،  
وودت أن أذهب إلى قريتها مترجلاً ، وأن أبثها همومى ، ووددت  
أن أجلس أمامها وأن أخبرها بوفاة أختها المفاجئ ، زوجتى الطيبة  
الوفية التى طارت مثل حمامة ، ووددت أن أحكى لها عن  
عروسى ولدىّ وعقوقهما وألم المرض . ولكن والأسفاه لم تعد لى  
قدم ثانية لأسير عليها .. فأطرقت رأسى وبكيت على حال بهار  
وحالى .. وبينما لم تمر ساعة واحدة على وصول رسالة بهار حتى  
سلمنى المحضر رسالة من المحكمة ، وعندما رأيتها واطلعت على  
ما بها ، صُعقت عندما عرفت أن رافع هذه الدعوى ولداى ، وفى  
تلك اللحظة كنت كالمسافر الذى اجتاحه الطوفان ولم أشعر  
بنفسى مطلقاً ، ثم قلت لنفسى : اللعنة على مال الدنيا كله ،  
والذى هو أتفه من بصقة الفم .

ولا مناص من أننى قد حضرت إلى المحكمة فى الساعة  
المحددة والوقت المذكور ، وبعد سنوات كان ذلك اليوم أول مرة  
سمعت فيها أن اسم القاضى هو شنج هدايت ، فقلت لنفسى :  
إلهى العظيم ، هل من الممكن أن يكون هذا الرجل هو نفسه أمير  
زوج بهار ؟

وطوال الدقائق التى كنت قد جلستها فى المحكمة ، وكنت  
أنظر إلى وجه الرجل الذى كان فى الحقيقة والد ابنى .



وكان وجه الشبه بين القاضى وشهاب إلى درجة كبيرة  
وكأننى كنت قد رأيت هدايت وهو فى الخامسة والعشرين من  
عمره . كما أننى لم أهتم بالموضوعات المطروحة فى تلك الجلسة ،  
إذ كانت الحادثة كالحلم ، وهو الرجل الذى كانت تظنه بهار قد  
مات ، وهو الآن قد جلس على مقعد القضاء صحيحاً ومعافى ،  
وقلت لنفسى : ينبغى أن أتحقق اليوم من هذا الموضوع ، وبعد  
انتهاء الجلسة أخذت السيد فروغى محامى جانباً ، وقلت : عفواً  
ياسيد فروغى أليس أصل القاضى هدايت يزد ؟ فضحك وقال :  
كلا ، كلا يا سيد يزدى . القاضى هدايت شيرازى ، وهو ابن  
سالارخان هدايت ، وقد كان والد القاضى من الرجال أصحاب  
النفوذ فى فارس ، وللأسف فإن والده قد توفى ولكن والدته  
ما زالت على قيد الحياة .

وبعد أن سمعت هذا الموضوع من السيد فروغى ، اطمأنت  
فيما يتعلق بالقاضى مائة فى المائة ، وعلى الرغم من أننى قد  
أحسست بالشبه الزائد بين القاضى وشهاب وذلك منذ الوهلة  
الأولى إلا أننى قد سألت فروغى من باب الاطمئنان أكثر ، وقد  
طرحت سؤالاً على نحو لا يثير الشك لدى السيد فروغى ،  
ويبقى سؤال واحد وهو الذى كان يؤلمنى : لماذا هدايت لم يسأل  
عن بهار طالما أنه على قيد الحياة ؟ ولكننى قلت بعد ذلك لا بد



وأن هناك سبباً مقنعاً وراء هذا الأمر ، ولماذا تزوج أمير برغبته من بهار ، وبعد تفكير عميق فى هذه القضية ، صممت أن أخبر القاضى هدايت بأحوال بهار .

وعلى الرغم من أن بهار قد أكدت على أن لا أفشى هذا السر لأحد ، إلا أن كتمان هذا السر فى هذا الوقت لا محل له ، وكان يجب على أن أخبر القاضى هدايت بهذه المصيبة التى وقعت فيها بهار المسكينة منذ سنوات ، فربما كان يستطيع بالنفوذ الذى له فى المحاكم أن ينقذ بهار من ذلك البلاء .. وقد صممت أن أكتب رسالة خطية إلى هدايت وأطلععه بالمعلومات التى قد كتبتها فى هذا الكتيب و التى تحكى أحداث قصة زوجته ، وربما إذا أفشيت سر بهار يتخلص إلى الأبد من آلام حيرته . ولماذا أحس أننى أقضى آخر أيام عمري ، ويا له من عمل طيب أن تكون آخر لحظات حياتى هى بداية حياة جديدة لبهار .. إن شاء الله .

معين بزوى



## الفصل السابع

وكانت الشمس تغرب شيئًا فشيئًا ، وكان جو الحديقة المحيطة بالعمارة صامتًا وثقيلًا ، ولم يكن يسمع صوت سوى نعيق الغربان التي أخذت تطير وسط الأشجار ، وكلما أظلمت الدنيا ، زاد الجو برودة أكثر ، وكان القاضي هدايت مستغرقًا في الاطلاع على الكتيب في غرفته ، ذلك الكتيب الذي أطلعه على الحقائق المرة عن حياة زوجته بالتفصيل .

وفي الغرفة المجاورة لحجرة القاضي ، راحت أمه جوهر تاج تتكى بكل قواها على عكازها ، وأخذت تنظر على نقوش السجادة التي كانت ملقاة وسط الحجرة ، وغرقت في أفكارها لساعات طوال ، وأحيانًا كانت تقول لنفسها متممة : إن عمرى لن يطول أكثر من هذا ، وقد كبرت ، فحتام نضلل أميرًا بالكذب والرياء عن معرفة الحقائق المرة التي تتعلق بحياته ، وهو من حقه أن يعرف أننا خدعناه لسنوات بحكاية القبر الخالي من الأموات حتى لا يفكر فيما وقع لزوجته من أحداث ، وقد كذبنا عليه جميعًا أنا ووالده وكمال جميعًا ، فنحن جميعًا كذبنا عليه ، ولكن في كل مرة أنظر إليه ، أود أن تفتح الأرض وأن تغور بى .

وأى ظلم أكثر من هذا ، أن يظن الابن أن زوجته قد قتلت  
فى حادث تصادم سيارة ، بينما نحن بالخطبة التى نفذناها بمساعدة  
كمال قد شردنا زوجته من ( شيراز ) وبعد ذلك افتعلنا السيناريو  
الذى يقول إن بهار قد قتلت فى حادث سيارة ، وعندما أظهر  
كمال ملابس بهار الملتصقة بالدم الكذب للأمير ، فإنه قد صدق أنه  
قد فقد زوجته إلى الأبد ، ولإكمال الخطة أمر سالارخان بعد فترة  
من حدوث هذا الأمر أن يخفوا كما تماماً حتى لا يأتى اليوم الذى  
يعرف فيه أمير قصة هروب زوجته وحكاية القبر الخالى .

وحاولت جوهر تاج دائماً بالتحرك من على مقعدها المريح  
والضغط على عكازها أن تقلل من الضغط الشديد الذى كان  
يسحق روحها وكيانها ، وأخذت تجفف عينها بطرف شالها  
الأسمر الذى يغطى كتفها .

فقالت لنفسها : لو مت وأمير لا يعرف هذه الأحداث التى  
من حقه أن يعرفها ، فإن الله لن يسامحنى ، على الرغم من أن  
إفشاء هذا السر والتحدث فى هذه الموضوعات يعتبر أصعب من  
موتى مائة مرة .. ولكن ينبغى على أن أزيح هذا الحمل الثقيل من  
فوق صدرى وربما يكون إفشاء هذه الموضوعات سبباً فى أن  
يصفح عنى أمير وإلا سوف أصبح مدينة له حتى الأبد .

فنهضت العجوز بمشقة من فوق المقعد ، وسارت متوكئة على  
عكازها ، وقد واكب صوت الطرقات التى ضربتها بعكازها مع

نحيب القاضي هدايت الذي كان يقرأ آخر ورقة فى الكتيب المذكور ، وكان يقول القاضي هدايت وهو يبكى بحرقة : لماذا كذبتى على هذه السنين ؟ يا إلهى لقد أحيت قبراً خالياً لمدة طويلة بينما زوجتى أسيرة كل هذه المتاعب . لماذا أنا سيئ الحظ إلى هذه الدرجة ؟ ولماذا ظلمنى أبى وأمى إلى هذا الحد ؟ فهل ارتكبت جرماً ؟ وعندما سمعت جوهر تاج بكاء ابنها المزوج بالشكوى المرة ، دقت الباب بقوة وقالت : افتح الباب يا أمير .. يا الله افتح الباب يا أمير .. وسوف أخبرك بكل شيء . ورق قلب القاضي لسماعه بكاء أمه ، وفتح الباب لها ، وبمجرد أن رأى أمه ، ألقى بكتيب ذكريات معين بعنف تحت قدم أمه وقال :

لماذا كذبتى على ؟

وما حكاية القبر والملابس الملوخة بالدماء ؟ ولماذا حتى الآن أخفيت عنى كل هذه الأشياء ؟ وهل أنت كنت أمى ألم يكن فى قلبك ذرة رحمة ؟

وعندما كنت أذهب كل خميس أحمل باقة ورد إلى القبر ، ألم تخجلنى من معاناتى هذه المستمرة ؟

واتكأت جوهر تاج على الجدار وجلست بهدوء وسط الحجرة ، ومن الخجل لم تجرؤ على أن تنظر إلى ابنها ، ثم قالت

فى كلماء ممزوجة بالحزن كانت تخرج من حلقها بصعوبة :  
اسكت يا أمير ، وأعطني الفرصة حتى أوضح لك كل شىء ،  
فمن الممكن أن تكون هذه اللحظات هى آخر لحظات عمرى  
واعطني الفرصة وأصغ إلى أحاديثى جيداً .

فى اليوم الذى جئت لرؤيتنا فيه حتى تخبر والدك بحادثة  
الزواج ، أغمى على بسبب رصاصة المسدس التى ضربك بها  
والدك فى قدمك ، وبعد ذلك أمر والدك من أجل معالجة قدمك  
بأن يحبسوك فى بـدروم العمارة حتى لا تعود إلى زوجتك ، وفى  
اليوم نفسه اختلى والدك بكـمال جانباً ، وأراه وثيقة ملكية وقال له  
: لو أردت أن تكون صاحب هذا الملك ، ينبغي أن تُشرد تلك  
البنت من شيراز تماماً ، قبل حلول الليل .

وكان يعلم والدك أن كـمـالاً يعرف جيداً مكان إقامتك أنت  
وبهار ، ولهذا السبب أعطى كـمـالاً مبلغاً كبيراً من المال وقال له :  
إذا شردت هذه البنت ، اذهب وأحضـر لى بعد ذلك بعض  
مـلابسها من حجرتها ، وما إن أظلم الجو حتى عاد كـمال مبتسماً  
وكأنه متـصـر وقال : لقد أخفت تلك البنت بحيث أنها لن تعود  
إلى شيراز إلى الأبد ، فـضرب أبوك على كتفيه منتشياً وقال : الآن  
اذهب ولطخ مـلابس بهار بدم الخروف ، فإذا ما تحسنت حالة أمير  
أظهر له تلك المـلابس وقل له فى ذلك اليوم الذى لم تعد فيه إلى

المنزل ، أتت بهار تبحث عنك ، وتوجهت خائفة إلى بيت سالارخان ، وعندئذ صدمتها سيارة في ظلمة الليل وقتلها ، وعندما كنت طريح الفراش بسبب الجراحة التي في قدمك دفنها والدك دون علمك بشكل محترم في مقابر المدينة ، وأثناء هذه الأيام التي يكون فيها أمير ملازمًا للفراش ، أعدّ قبراً وضع حجراً من المرمر باسم بهار قشقاى فوقه ، وفي الوقت المناسب خذ أميراً نفسه إلى القبر ، ودله على قبر بهار ، ولما أن أميراً يعزك - أى كمال - فإنه سوف يصدق كلامك .

كما أن كمال الذى زاد طمعه ونهمه ، كان قد نفذ كلام أبيك بالحرف الواحد ، بينما يأس بهار بمهارة من ناحيتك ، وشردها إلى أصفهان .

وبعد فترة وحتى لا تعرف هذه المؤامرة ، أمر والدك أن يؤخذ كمال إلى مكان مجهول ويعدم ، حتى تختفى هذه الأحداث إلى الأبد ، ولكننى منذ سنوات وأنا معذبة الضمير ، وكلما أردت أن أفتح فمى وأتكلم ينعقد لسانى خجلاً ، ولكن بالأمس رأيت حلمًا مفزعاً فعزمت أن أخبرك بكل الأحداث على وجه السرعة ، وبالأمس أتانى والدك فى المنام فى شكل سيئ لدرجة أننى فزعت من رؤيته فهربت منه ، وكان يرجونى ، ويجرى ورائى ، ووقفت لحظة واقترب منى ، وركع تحت قدمى وقال : افعلنى شيئاً حتى يسامحنى أمير .



وكرر هذه الحملة عدة مرات ، وبعد ذلك ابتعد عني شيئاً فشيئاً ، وعندما استيقظت من النوم ، كنت غارقة في العرق ، ومنذ الأمس حتى الآن وأنا في صراع مع نفسي حتى تلك اللحظات السابقة ، وفي النهاية عازمت على أن أخبرك بكل الحقائق حتى أخفف عن نفسي العذاب والحمل الثقيل .

وجفف القاضي هدايت دموعها بظهر يده ، وخرج من الحجرة متباطئاً وخرج من باب خروج الصالون ، وسار حتى البهو ، وكانت قد هبت ريح باردة ، ولكن من شدة حرارة جسده لم يشعر ببرودة شهر بهمن ، ونزل حافى القدمين من سلالم البهو ، ومر من الطريق المفروش بالسجاد القيم الذي يصل حتى نهاية باب دخول الحديقة ، وكان ينظر حوله كالأفراد غير الطبيعيين ، وكان الظلام قد خيم على الحديقة كلها ، ولكنه كان يعرف جيداً الطريق الذي كان ينتهى بأطلال غرفة مراد والد بهار .

ومر خلال ظلمة الليل وسط الأشجار الضخمة ، وشيئاً فشيئاً بدا شكل الغرفة الخربة كظل من السواد والتي كان يعيش فيها يوماً ما بهار وأسرتها ، واقترب هدايت وشيئاً فشيئاً من تلك الغرفة ، وجثا على ركبتيه في منتصف باب الغرفة التي تبدو الآن كطلل من الأطلال ، وفي تلك الأثناء لم يكن يسمع فيها إلا صوت الصراصير والحشرات .

وأخذ ينظر هدايت مندهشاً إلى تلك الغرفة ، ووضع يديه على وجهه وراح يبكي فى صوت عال ، وكأنه بعد هذه السنوات كان يرى بهار أمامه ، ويخاطبها ، وكان يقول : قسماً بالله إننى كنت أحس ذكراك لسنوات فى حجر ذلك القبر ، وإننى لم أذرف تلك الدموع حزناً على افتقارك ، بل لأننى لم أصدق أبداً أنك أنت تركتنى إلى الأبد وذهبت ، وفى أكثر الأوقات كنت أقف على باب الحديقة فربما تأتين منه ، ولكن وأسفاه إذ إن الأيدي المخادعة والألسنة الكاذبة قد فرقت ما بيننا بمسافة البحار بعداً .

يا بهار لقد أدركت أنك قضيت سنوات طويلة من عمرك فى السجن ، وقد انطويت أنا على نفسى مثل حية جريحة ، والآن ينبغى على أن أقوم بعمل على وجه السرعة ، حتى أعوضك عن كل سنوات البعد والتشرد ، وإلا فإننى سوف أحترق عمراً آخر فى عذاب الضمير ، ولما أن أسرتى قد تسببت لك فى كل هذا العذاب والمعاناة ، فإننى أحس بالوضاعة وسوء الحظ ، فيا ليتنى كنت قد سمعت كلامك فى ذلك اليوم ، ولم أذهب أبداً لرؤية أبى .

وأنت لا تعلمين أننى بعد شهر واحد من مغادرتى لفراش المرض ، أن قامتى قد انحنيت عند سماعى خبر وفاتك الحزين .. أتمنى يا بهار أن تسامحينى .



## الفصل الثامن والأخير

واستطاع هدايت للمرة الثانية أن يلغى أمر نفي بهار ووضع هذا القرار في ظرفه كما كان مستريح البال من كل شيء ، وقال لنفسه : فى الحقيقة إن إنجاز هذا الأمر لم يكن ليتم لو لم يقم به رجل صاحب منصب .

وعلى الرغم من أنها تحتاج إلى المساعدة فى ذلك الوقت إلا أنها لم تبخل بمساعدتها على أحد ، وإن كنت اليوم لم أر نتيجة تقديم تلك المساعدة بعد ، وهذا الأمر يدل على أننا باعتبارنا بشراً محتاجون لمساعدة بعضنا البعض .

وبينما كان هدايت يفكر فى هذه الموضوعات كان قد ابتعد عن ( شيراز ) وقد سار وهو يغمره الشوق فى طريق شيراز الزاخر بالمنحنيات ، وقد غمر هدايت إحساس جميل نظراً لأنه يقترب من بهار شيئاً فشيئاً وقال لنفسه : لا أستطيع أن أتخيل لحظة لقاء بهار ، وبالتأكيد أن شكلها قد تغير كثيراً على الرغم من أننى قد كبرت وتغير شكلى أيضاً ، فساعدنى يا إلهى حتى أستطيع أن أوضح لها لماذا لم أبحث عنها طيلة السنوات المتقلبة الماضية ، ولكن هل سوف تصدقنى بسهولة ؟ ومن ناحية أخرى .. بعد

مرور كل هذه السنوات هل هي مستعدة لأن تعود معي ثانية إلى  
شيراز ؟ وقطّب هدايت حاجبيه ، وراح يجفف بالمنديل حبات  
العرق التي كانت قد استقرت فوق جبينه ، فقال لنفسه بعد  
لحظات :

من الأفضل أن أقدم قرار إلغاء النفي لجهة الأمن المختصة في  
قرية أحمدى ، وبعد ذلك سأذهب إلى رؤية بهار ، ولكن سرعان  
ما غير رأيه وقال : لا .. لا لا أتحمّل أكثر من هذا ، فأولاً سأذهب  
إلى بهار ، وبعد ذلك سأنذهب معاً إلى إدارة الأمن المختصة معاً ،  
شيئاً فشيئاً سيطر العناء الناتج عن قيادة السيارة في الليل على  
كيان هدايت لدرجة أنه عندما كانت تجيء في عينيه أنوار فوانيس  
السيارات التي كانت تصدر من الجهة المقابلة لم يكن يستطيع أن  
يرى الطريق بوضوح ، ولهذا السبب فقد توقف عندما رأى المقهى  
الذي كان قد علق أمامه مصباح منير حتى يشرب كوباً من الشاي  
ويغسل يديه ووجهه .

ونزل من السيارة ، وقد بدا وجهه متعباً وهيئته مضطربة نتيجة  
السفر في طريق غير معد ، وقد لاحظ عدة مقاعد خشبية قديمة  
ومائدتين وقد فرشتا بمفرشين من البلاستيك الباهت أمام المقهى ،  
وألقى ساعى المقهى السلام ، ذلك الرجل البدين الأسمر وسأل :  
أترغبون في شيء ؟ ونظر هدايت إلى وجه ساعى المقهى المحترق  
من الشمس ، وبينما راح الأخير يجفف يديه بمنديل مهترى ،  
وقال : نعم .. نعم .. كوب شاي من فضلك .

وأدرك ساعى المقهى من خلال لقائه بهدايت أنه أمام رجل مهم ، فوضع أمامه كوباً من الشاي نظيفاً وجميل الشكل وسأل : هل جئت بنذر عباس ؟

فتبسم هدايت و قال : لا .. لا إني ذاهب إلى قرية أحمدى ، وهل من الممكن أن تقول لى كم ساعة طول الطريق حتى ذلك المكان ؟

فضحك ساعى المقهى فظهرت أسنانه الدميمة والمتباعدة عن بعضها ، ولم تعد هناك مسافة طويلة ، وقد لاحت فى الأفق تباشير الصباح ، فألقى هدايت نظرة على ساعة معصمه ، فكانت عقارب الساعة تشير إلى الثالثة والنصف صباحاً ، فقال لنفسه : لم يعد أمامى أكثر من ساعتين مسافة الطريق ، ومن الأفضل أن أتحرك سريعاً ، ووضع ثمن الشاي فوق المائدة ، وودع ساعى المقهى وشكره وانطلق نحو قرية أحمدى ، ومرة أخرى غابت السيارة فى ظلام الليل .

ولم يكن يشاهد فى الطريق سوى نور فوانيس السيارات التى كانت تعبر ذلك الطريق ، وفى كل وقت كان يمر ثعلب ذو عينين لامعتين وذيل طويل كالبرق أمام السيارة ، هارباً إلى الناحية الأخرى ، و كان وجود تلك الحيوانات فى منتصف الليل يشعر

المسافرين بالوحدة ، وكان ذلك يشغل ذهن المسافر برهة من الوقت ، وشيئاً فشيئاً لاحت فى السماء أول إشراقة للصباح ، وشيئاً فشيئاً انحسر سواد الليل وحل مكانه الصباح ، وسرعان ما ملأ نور الصباح أفق السماء ، فأظهر أمامه منظرًا غير واضح الملامح كان ذلك هو قرية أحمدى ، وعندما لاح له منظر تلك القرية عن قُرب فكأنه رأى بوابة الجنة ، فتوجه فرحًا نحو الجهة اليمنى ثم انحرف جانبًا ، وكان الطريق ترابيًا ، وقد دل صوت أذان الديكة على وجود منطقة أهلة بالسكان ، وقد شوهدت على الجانب الأيمن من الطريق أشجار متشابكة وكثيرة ، وشوهدت على الجانب الأيسر منه أشجار النخل العديدة تجاورها الخضرة الكثيفة ، وكان جو تلك المنطقة دافئًا ويختلف عن برودة جو مدينة شيراز ، وقد ذكره بمدينة شيراز فى شهر فرودين وكانت السيارة تسير فى سرعة منخفضة فى ذلك الطريق الترابى ، حيث بدت العشش العديدة المتراسة والتي تبعد عن بعضها عدة أمتار ، وكان هناك رجل قد ارتدى ثوبًا أحمر اللون حول فخديه وكان مشغولاً باستطلاع الأرض فى مزرعة البطيخ ، فأوقف هدايت السيارة جانبًا ، وتوجه نحو الرجل وألقى عليه السلام ، فأخذ الرجل ينظر إليه من رأسه حتى أخمص قدميه متفحصًا ، وكان من المسلم به أن هندام هدايت قد دل على أنه رجل غريب عن تلك المنطقة لأن



رجال تلك القرية لم يكونوا يرتدون القمصان ، وكان هدايت يرتدى بالإضافة إلى القميص فرد الرجل القروي السلام .

وسأل هدايت : لو سمحت هل تعيش فى هذه القرية امرأة باسم ( بهار قشقاىى ) ؟

ففكر الرجل وقال : منذ فترة طويلة أتت من المدينة امرأة وهى تعلم الأطفال ولكنى لا أعرف اسمها ، فدعنى أسأل ابنتى سارة ، وسار هدايت بصحبة ذلك الرجل نحو عشة من العشش ، وكانت هناك فتاة صغيرة ذات وجه نضر مشغولة بملء جرة الماء بجوار إحدى هذه العشش ، وكان شعر الفتاة المبثر يدل على أنها لم تغسله من أسابيع ، ونظر هدايت إليها فوجد أنها لم تكن تتجاوز التاسعة من عمرها ، بينما كان الطين عالقاً بقدميها تماماً ، ولعلها أخذت تسعى فى ملء جرتها بالماء ، وتحدث مع سارة بلهجة قروية فأشارت لأبيها بإصبعها إلى منطقة فى النخل ، وهدايت الذى لم يفهم شيئاً من حديثهما ، نظر إلى إشارة يد سارة التى كان مضمونها أن من يبحث عنها سيجدها تعيش فى تلك المنطقة ، ونظر إلى الطريق فأدرك أن السيارة لا يمكن أن تسير فيه ، ولهذا السبب فقد سار مترجلاً مع سارة التى رافقت هدايت وفقاً لوصية أبيها .

وتجاوز هدايت وسارة نخلاً كثيراً ثم اختفيا وسط غابة  
لنخيل الطويلة ، شيئاً فشيئاً ظهر عن بعد شكل غرفة من الطوب  
اللبن ، وقالت سارة فى لهجة فارسية ركيكة تماماً : مدرستنا  
هناك ، وتعيش المعلمة فى ذلك المكان أيضاً ، فأحس هدايت  
برعشة خفيفة شملت كيانه كله ، وأخذ قلبه فى الخفقان بشكل  
واضح ، وكأنه لم يعد لديه القدرة على التقدم خطوة ، ومكث  
قليلاً ، وأخذ نفساً عميقاً ، وكان يُحس وكأن الهواء قد أصبح  
قليلاً للتنفس ، وخطا خطوات فى هدوء ، واقترب من الحجرة  
وكان بابها مفتوحاً ، وكانت قد فرشت بشريط من الحصير ، ونظر  
بدقة حتى نهاية الحجرة ، ولم يكن أحد بها ، فقط كان قد علق  
بجدار هذه الغرفة سبورة ، وكان جو الغرفة يوحي بحزن زائد  
وانقباض ، فذهل هدايت عند مشاهدته هذه الغرفة ، إذ إن أعز  
شخص فى حياته كان يعيش فى هذه الغرفة لمدة طويلة هى غرفة  
ليس بها أية وسيلة للرفاهية ، فلا كهرباء ولا سجادة يمكن أن  
تُفرش بها وكأن يد شخص أخذت تخنقه .

وأخذ يمعن النظر فى السبورة التى كان قد كتب عليها :  
( أعط الأب الخبز ) وبينما كان هدايت غارقاً فى أفكاره وإذا  
بصوت نسائي رزين يسأله من الخلف : ماذا تريد ؟ فتسمر وسط  
باب الحجرة للحظات ، وبينما كان قد وقف ووجهه نحو الحجرة ،  
ولم تواته الجرأة على العودة أو النظر إلى المرأة التى كانت تحدثه .

وكان الصوت صوت بهار ولكن كان صوتاً غير رقيق وبلا إحساس ، فسألت المرأة مرة أخرى : عفواً أتريد شيئاً يا سيدى ؟ وعاد هدايت شيئاً فشيئاً نحو الصوت بينما بدا عليه شحوب الوجه ، وقد ارتدت بهار ثياباً وحجاباً أسودين غطياها من رأسها حتى أخمص قدميها ، وبدا قوامها أطول من ذى قبل ، ولم يكن يظهر من حجابها سوى وجهها ، وكان يبدو جلد وجهها برنزي اللون ، ولم يكن له جمال ذلك الزمان ، وكانت قد ظهرت التجاعيد حول شفتيها وعينيها و ولكن اخضرار عينيها فى ذلك الوجه المحرق من أشعة الشمس قد بدا أكثر جمالاً ، على الرغم من أنها كانت محجبة من رأسها حتى أخمص قدميها ، ولم يظهر منها سوى وجهها ، ولكن الوقار والرزانة كانا باديين على نظرتها ، وتبادل الاثنان النظرات للحظات فى دهشة ، ولم يكن لأحدهما القدرة على التحدث ، وكانت شفها بهار قد قل احمرارهما ، وكانتا ترتعدان قليلاً مثل شخص وقد أصابته قشعريرة برد شديدة ، وأخذ الاثنان يتبادلان النظرات وكأن ذلك كان حلمًا وهو فى الحقيقة واقع ، إذ إن الزوجة والزوج اللذين قد ظنا أن كليهما قد مات الآن يقفان وجهًا لوجه لا يفصل بينهما سوى متر واحد .

وبادرت بهار بالحديث بصعوبة وقالت : أمير .. أنت .. أنت .. أنت .. حتى ؟ .. قال كمال إن والدك .. وأخذت سارة تنظر إليهما بعد أن

وقفت صامته فى تلك اللحظة ، وعندما رأت أن بهار قد جلست على الأرض ، واتكأت على جزع نخلة ضخمة ، أسرعت إليها وسألتها : ماذا حدث أيتها المعلمة ؟

ماذا حدث ؟ فنظرت بهار إلى سارة وقد خارت قواها وقالت : لا شىء .

اذهبي وأخبرى الأطفال أن اليوم إجازة .

وأخذت سارة تبتعد بجارية بسرعة من ذلك المكان حتى تخبر الأطفال بموضوع الإجازة .

فاقترب أمير عدة خطوات من بهار ، وقال فى صوت هادئ : السلام عليك يا بهار .. سامحيني فإننى لا أستطيع أن أتحدث ، فإن المرارة قد سدت حلقى .

وانهارت بهار باكية ، وسألته فى جمل كانت تخرج من حلقها بصعوبة .

أين كنت يا أمير حتى هذه اللحظة ؟ ولماذا لم تسأل عنى طيلة هذه السنوات ؟

وأجاب هدايت بينما كان يبكى دون صوت : الآن علمت فقط أنك على قيد الحياة منذ يومين فقط ، فقد قيل لى إن سيارة صدمتك ومت .

ونَهَضت بهار بصعوبة من مكانها ، وأحضرت الكليم البالى الذى كان مفروشا بعيداً قليلاً عن الفصل على الأرض ، وفرشته بجوار جدار الفصل الطينى ، وراحت تجفف بطرف حجابها عينيها وقالت : أنا فى خجل لأنه ليس لدى المكان المناسب لاستقبالك ؟ فاعذرني وتفضل بالجلوس ، ويبدو عليك أنك لم تنم بالأمس ، ونظر هدايت إلى زوجته نظرة مفعمة بالعشق والتفاؤل وقال :

فى الوقت الحالى ليس هناك شىء يمكن أن يحول بينى وبين رؤيتك على الرغم من أننى كنت أعتقد أنك لست على قيد الحياة ، ولكن لم أغفل لحظة واحدة عن التفكير فىك .

فأمسك هدايت يد بهار ووضعها فوق يده وقال : قسماً بالله أنه حتى يومين اثنين لم أكن أعرف أنك على قيد الحياة .

وكانت الشمس تُشرق بشدة وسط جريد النخل على الأرض ، ومرت الساعات وهما يجلسان متجاورين ودون أن يضيعا لحظة واحدة ، راحا يتناجيان ويتحدثان عن آلام القلوب ، ولم يلقيا بالأمس وما حولهما ، وعندما أعطى هدايت بهار خطاب إلغاء النفى ، وبعد أن قرأته بهار ، تبسمت بسمة كلها مرارة وقالت : لقد تركت يا أمير الشباب والأطفال ووالدى وكل شىء من أجل تحقيق هدفى ، وهذه القرية بالنسبة لى ليست مكاناً

للنفى ، بل فى نظرى مكاناً لتحقيق هدف محدد ، وقد اخترت طريقى هذا منذ سنوات .

ولو كان هدفى تحقيق الحرية الظاهرية ، لكان قد انتهى كل شىء الآن ، ولكننى كنت أكافح أولئك داخل قلعة السجن الحديدية .

فكنت أحرص بروح وثابة جميع النساء المكافحات والمسلمات اللاتى كن مقيدات مثلى أحرصهن على السجن والسجان ، وكانت عزيمتى هذه فى أمر النضال باعثاً على سجنى الطويل .

والآن فأنا لا أشكو من أى شىء ، وعلى حد قول أبيك ، أنا ابنة بستانى ولا يلىق بأسرتكم أن ترتبط بى ، فدع هذا الارتباط غير اللائق بكم يغطى جزءاً من عرى أجساد هؤلاء الفقراء ، فلو وافقت على أن أعود معك إلى شيراز فإننى أكون فى الواقع قد عدت للتفكير فى الرفاهية ، ويعد هذا ردة فكرية فى نظرى ، ولكننى سوف أواصل حياتى بشكل أفضل بالبقاء هنا وتعليم هؤلاء الأطفال المساكين .

وعندما تزوجتك كان قلبى ملكك ، ولكن الآن فإن نصفه متعلق بك والنصف الآخر منه متعلق بهؤلاء الحفاة ، فلا ترض أن أهدم ما كنت قد اعتبرته فكرة مثالية ، فلو كنت وفياً لى ،



فساعدنى حتى أحل مشكلات هؤلاء الأطفال المحرومين بسهولة .

ولو كنت تعارض أفكارى وتعتبرها خطراً عليك ، فلا عيب فى ذلك ، وسوف أتفهمك ولن أطالبك بشيء ، وقد تحررت بإرادتى الشخصية من طفلى وأبى وأمى ، فأن لست ملك نفسى ، بل مرتبطة بالآخرين ، وروحي مرتبطة بهذه العشش الخالية من الرفاهية ، وراحتى الفكرية وروحي متعلقتان بالاهتمام بهؤلاء الناس البؤساء .

وعندما سمع هدايت بهذه الموضوعات ، أمعن النظر فى عينى بهار وتأوه فى صوت عال وقال : إذن فقد حكمت على أن أبقى إلى جوارك حتى آخر العمر وسط نخيل أحمدي .

فتبسمت بهار وقالت : ما الفائدة إن كنت شيرازية ولكن عقلى مرتبط بمكان آخر ؟ ولى رغبة وحيدة فقط لا تحرمنى من رؤياك ، ووصيتى الوحيدة أيضاً ألا يعلم شهاب وشاهين بهويتهم الحقيقية ، وأنا وأنت مدينان بالكثير لمعين يزدى .

فأمسك أمير يد بهار ، ونهض بها وقال :

انهضى لنذهب معاً ، ونسلم قرار إلغاء نفيك للجهة الأمنية المسئولة ، ولن ألزمك بترك هؤلاء الناس البسطاء أو العودة إلى شيراز .



وضحكت بهار وسألت : ماذا تعنى ؟ وماذا نويت أن تفعل  
بعد مغادرتك هذا المكان ؟

فنظر حوله أمير وقال : بعد انصرافى من هنا سوف أطلب  
استقالتي .

فقد سئمت المدينة والعيش بها كثيراً ، ومن ناحيتى فإن هدفى  
فى الحياة هو أن أتخلى عن كل شىء لتحقيق هذا الأمر مثلك ..  
والآن فقد عثرت عليك ، وبعد إحالتى إلى المعاش ، سوف أعود  
إلى قرية قريبة من بندر عباس وأعمر تلك المنطقة من أجل حبيبى  
الذى أحبه أكثر من روى فسوف أشيد مدرسة جميلة فى تلك  
المنطقة ، وسوف أكتب على جدارها ، الاسم الجميل : بهار  
قشقاى . وبعد ذلك سوف أسرع لأقدم المساعدة لهؤلاء الفقراء  
جنباً إلى جنب زوجتى المكافحة ، فضحكت بهار ضحكة بعد مدة  
طويلة لم تضحكها ، وأمسكت يد أمير بدفء وسط يديها ،  
وضغطت عليها .

وبينما كانت لاتزال الشمس لم تسطع تماماً على تلك  
القرية ، حتى غاب الحبيان وسط النخيل حتى يعلننا الجهة الأمنية  
عن قرارهما بالإقامة الأبدية لهما فى قرية أحمدى .

## الهوامش

- ١ - تدل كلمة بطل هنا على الاستهزاء . المترجم .
- ٢ - الروضة خطبة تتحدث عن مراسم التعزية وتُلقى من فوق المنبر ، وتشمل الحمد لله والسلام على رسول الله والأئمة الأطهار وهي فى القضايا الدينية والأخلاقية وبها شرح لأحداث كربلاء ، وتسمى هذه الخطبة باسم روضة الشهداء . المترجم .
- ٣ - الغمضية : لعبة الاستغماية . المترجم .
- ٤ - تقصد بهار بهذه الجملة نفسها . المترجم .
- ٥ - شجر الصفصاف شجر غير مثمر ، ذو ظل وله أغصان مستقيمة ومرتفعة وأنواعه كثيرة ، منه الصفصاف الأبيض والصفصاف الأصفر والصفصاف المعلق ، ويسمى هذا الأخير بالمجنون لكثرة أغصانه وتدليها على الأرض مثل المرأة غير الطبيعية التى تنتثر شعر رأسها . ( المترجم ) .
- ٦ - يقصد أنه فى المرة القادمة سوف يقدم له طعاماً أفضل . المترجم .
- ٧ - طيور العشق هى طيور الزينة لدينا فى مصر . المترجم .
- ٨ - الشهر الأول من السنة الشمسية الإيرانية ، وهو أول أيام الربيع . المترجم .



## المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .



## المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. ماهدو يانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتتكونا	ت : أحمد الحضري
٥ - ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الانطكى
٨ - مشعل الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندروس. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معصم وعبد الجليل الأزكى وعمر حلى
١١ - مختارات	قيسوانا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق علفى
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عثمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ - الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العناني
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. ماهدو يانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم قهسى
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هويكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حمزة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتين	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ - واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ - نقد الحداثة	ألن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عبد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ملجى
٤٢ - عالم ماك	بنجامين بارير	ت : أحمد محمود
٤٣ - الذهب المزبوج	أوكتايفيو پاث	ت : المهدي أخريف
٤٤ - بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ - التراث المغفور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ - تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ - الإسلام فى البلقان	ه . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الملوذ ويوسف الأنطكى
٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية	داريو بيانربيا وخ . م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسى التجميعى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم ومادل دمرداش
٥٣ - الدراما والتعليم	أ . ف . ألجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ - ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونيث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
٦٢ - لذة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	ألان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ - العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج روبريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود



- ٧٢ - السياسي العجوز ت . س . إليوت
- ٧٣ - نقد استجابة القارئ جين . ب . توميكنز
- ٧٤ - صلاح الدين والمماليك في مصر ل . ا . سيمينوفا
- ٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية أندريه موروا
- ٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسي مجموعة من الكتاب
- ٧٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٢ رينيه ويليك
- ٧٨ - العولة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية رونالد روبرتسون
- ٧٩ - شعرية التأليف بريس أوسبنسكي
- ٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع» ألكسندر بوشكين
- ٨١ - الجماعات المتخيلة بندكت أندرسن
- ٨٢ - مسرح ميغيل ميغيل دي أونامونو
- ٨٣ - مختارات غوتفريد بن
- ٨٤ - موسوعة الأدب والنقد مجموعة من الكتاب
- ٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية) صلاح زكي أقطاي
- ٨٦ - طول الليل جمال مير صادقي
- ٨٧ - تون والقلم جلال آل أحمد
- ٨٨ - الابتلاء بالغرب جلال آل أحمد
- ٨٩ - الطريق الثالث أنتوني جيدنز
- ٩٠ - وسم السيف (قصص) نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
- ٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق باربر الاسوستكا
- ٩٢ - أساليب ومضامين المسرح كارلوس ميغل
- ٩٣ - إسبانيا وأمريكا المعاصر مايك فيذرستون وسكوت لاش
- ٩٤ - أحداث العولة صمويل بيكيت
- ٩٥ - الحب الأول والصحة أنطونيو بوينو بايخو
- ٩٦ - مختارات من المسرح الإسباني قصص مختارة
- ٩٧ - ثلاث زنبقات ووردة فرنان برونل
- ٩٨ - هوية فرنسا (مج ١) نماذج ومقالات
- ٩٩ - الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني ديفيد روينسون
- ١٠٠ - تاريخ السينما العالمية بول هيرست وجراهام تومبسون
- ١٠١ - مساعلة العولة بيرنار فاليط
- ١٠٢ - النص الروائي (تقنيات ومناهج) عبد الكريم الخطيب
- ١٠٣ - السياسة والتسامح عبد الوهاب المؤتب
- ١٠٤ - قبر ابن عربي يليه آباء برتولت بريشت
- ١٠٥ - أوبرا ماهوجني جيرارچينيت
- ١٠٦ - مدخل إلى النص الجامع د. ماريا خيسوس روبييرامتي
- ١٠٧ - صورة الفنان في الشعر الأمريكي المعاصر نخبة
- ت : فؤاد مجلى
- ت : حسن ناظم وعلى حاكم
- ت : حسن بيومي
- ت : أحمد درويش
- ت : عبد المقصود عبد الكريم
- ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ت : أحمد محمود ونورا أمين
- ت : سعيد الغانمي وناصر حلاوي
- ت : مكارم الغمري
- ت : محمد طارق الشرقاوي
- ت : محمود السيد علي
- ت : خالد المعالي
- ت : عبد الحميد شيحة
- ت : عبد الرازق بركات
- ت : أحمد فتحي يوسف شتا
- ت : ماجدة العناني
- ت : إبراهيم الدسوقي شتا
- ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
- ت : محمد إبراهيم مبروك
- ت : محمد هناء عبد الفتاح
- ت : نادية جمال الدين
- ت : عبد الوهاب علوب
- ت : فوزية العشماوي
- ت : سري محمد محمد عبد اللطيف
- ت : إينوار الخراط
- ت : بشير السباعي
- ت : أشرف الصباغ
- ت : إبراهيم قنديل
- ت : إبراهيم فتحي
- ت : رشيد بنحلو
- ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
- ت : محمد بنيس
- ت : عبد الغفار مكاوي
- ت : عبد العزيز شبيل
- ت : أشرف على دعنور
- ت : محمد عبد الله الجعدي

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكي
١٠٩ - حروب المياه	جون يولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسييس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أولين علوي ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادي بلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيات حماد كوني وسكان المستنق	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	ت : سميرة رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلي أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وتوازن الطلاق	أميرة الأزهرى سنيل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلي أبو لغد	ت : نخبه من المترجمين
١٢١ - الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظم العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيل الكسندر وفنادولينا	ت : أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	جون جراي	ت : أحمد فؤاد بليغ
١٢٥ - التحليل الموسيقي	سيدريك ثورپ ديفي	ت : سمحه الخولي
١٢٦ - فعل القراءة	فولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعي
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الأسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جارتو	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندز فرانك	ت : شوقي جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	باري ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نلد. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ - مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	جوزيف ماري مواريه	ت : كاميليا صبحي
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيفيلينا تاروني	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - باريس فيال	ريشارد فاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبوري
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومي
١٤٣ - قضايا التنظير في البحث الاجتماعي	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدوني	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ - موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دي ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبي
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة	تاتكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوي
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأنتونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليمان	ت : منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابي
١٥٣ - غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التمساني
١٥٧ - خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٩ - الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحي
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومي
١٦١ - من المسرح الإسباني	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسوي	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نود)	جان لوكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ - حكايات الشعب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ - العلاقات بين المذنبين والطائنين في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - في عالم طاغور	رابندراناث طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابي
١٧٣ - معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ - التليفزيون في الحياة اليومية	أورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ - أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ - مختارات من الشعر البيزنطي الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدي إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبد الأمير حمدان
١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوة	و . ب . بيتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : نسوقى سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بُنْدُجْ علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	الغين كرتان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	بول دى مان	ت : سعيد القانمى
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجاني
١٩١ - الكلام وأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - سياحته إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مخترعات من نقد الأنجلو - أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شتاء ٨٤	إسماعيل قصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لاندائوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد الطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا روس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جزء ١	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	الطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافالى - سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ - الهيلولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ - ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ - شخصية العربى لى المسرح الإسرائيلى	دان أوربان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ - السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ - مثويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ - فريديان دوسوسيز	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد القنى
٢١٢ - قصص الأمير مرزيان	مرزيان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ - مصر منذ قديم تليين حتى رجل عبد الناصر	ريمون فالور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جينتز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بيك جزء ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ - مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ - رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ - بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهبولة في الكون	باري باركر	ت : علي يوسف علي
٢٢١ - شعرية كفاقي	جريجوري جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - قرانز كافكا	رونالد جراي	ت : نسيم مجلي
٢٢٣ - العلم في مجتمع حر	بول فيراينر	ت : السيد محمد نفادي
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : متى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابريل جارتيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هريت لورانس	ت : طاهر محمد علي اليريري
٢٢٧ - المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	موسى ماريديا ديف بوركي	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم لاجتماع الفن	جانيت وولف	ت : ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمن	ت : أمير إبراهيم العمري
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣١ - الدرافيل	خايمي سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام في السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزي ج ١	جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادي	روين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العلة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعري منبولى أحمد
٢٣٩ - العربي في الأدب الإسرائيلي	جيلارافر - رايبوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامي حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - في انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض	وليام إميسون	ت : صبري محمد حسن عبد النبي
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الغليان	لاورا إسكييل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق علي منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابريل جرتيا ماركث	ت : علي إبراهيم علي منوفي
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحدائق في مصر	ولتر أرمبرست	ت : محمد الشرفاوي
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباطة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جورجون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : علي بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومي
٢٥٤ - الفلسفة	ليف روينسون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ليف روينسون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - ديكارت	ديف روينسون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ - الفجر	سير أنجوس فريزر	ت : عبادة كحيلة
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمني	نخبة	ت : فاروچان كازانچيان
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج٢	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٦١ - رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكي نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ - مدينة المعجزات	إدوارد منلوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن	جون جرين	ت : علي يوسف علي
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ - روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ - فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عروكي
٢٦٨ - ديوان شمس تبريزي ج٢	جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم جيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم جيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ - الحضارة القريبة	توماس سى . باترسون	ت : شوقي جلال
٢٧٢ - الألبيرة الأثرية في مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ - الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوي
٢٧٤ - السيدة بريارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود علي مكي
٢٧٥ - س. س. إليوت شاعرًا وناقًا وكاتبًا مسرحيًا	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ - فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمساني
٢٧٧ - الجينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزي
٢٧٨ - البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ - من الألب الهندي الحديث والمعاصر	بريم شند وأخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ - الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوي	ت : جلال الحفناوي
٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وليبرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ - السهل يحترق	خوان روافو	ت : علي البمبي
٢٨٤ - هرقل مجنونًا	يوربيدس	ت : أحمد هتمان
٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامي	حسن نظامي	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ - رحلة إبراهيم بك ج٢	زين العابدين المراغي	ت : محمود سلامة علاوي
٢٨٧ - الثقافة والعولة والنظام العالمي	أنتوني كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ - الفن الروائي	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطي
٢٨٩ - ديوان منجوهري الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ - علم الترجمة واللغة	جورج موانان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج١	فرانشيسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج٢	فرانشيسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر



٢٩٣ - مقدمة للأدب العربي	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ - فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ - سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ - مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوي
٢٩٧ - فن التحسين اليونانية والسورياتية	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهواني	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ - مأساة العبيد	أبو بكر تافاويليوه	ت : مصطفى حجازي السيد
٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ - أسطورة برومئوس مج ١	لويس عوض	ت : جمال الجزيري وبهاء جاهين
٣٠١ - أسطورة برومئوس مج ٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيري ومحمد الجندي
٣٠٢ - فتجنشتين	جون هيتون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ - بوذا	جين هوب ويورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ - ماركس	ريوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ - الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ - الحماسة - النقد الكانطي للتاريخ	جان - فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ - الشعر	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ - علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ - الذهن والمخ	انجوس چيلاتي	ت : جمال الجزيري
٣١٠ - يونج	ناجي هيد	ت : محيي الدين محمد حسن
٣١١ - مقال في المنهج الفلسفي	كولنجورد	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ - روح الشعب الأسود	وليم دي بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ - أمثال فلسطينية	خاير بيان	ت : عبد الله الجعدي
٣١٤ - الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعي
٣١٥ - جرامشي في العالم العربي	ميشيل بروندينو	ت : كاميليا صبحي
٣١٦ - محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلي
٣١٧ - بلاغ	شير لايموفا - زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ - الأدب الروس في السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ - صور دريدا	جايتري ياسييفاك وكريستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ - لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج ٢	ليفي يروفتسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ - وجهات نظرية في تاريخ الفن العربي	ديليو. إيوجين كليتاورد	ت : خالد مقلح حمزة
٣٢٣ - فن الساتورا	تراث يوناني قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ - اللعب بالنار	أشرف أسدي	ت : محمود سلامة علوي





طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

---

رقم الإيداع ١٧٩٧٠ / ٢٠٠١







## اللعب بالنار

هذه رواية واقعية تحكى مأساة إنسانية عامة عانت منها - ولا تزال تعاني - الشعوب الشرقية، وهى سيطرة الحسن الطبقي والتمييز بين أناس يفترض أنهم يؤمنون بدين يدعو إلى المساواة والأخوة بغض النظر عن الوضع الاجتماعى أو المعيشى للمعتقدين به، غير أن هذه الرواية تكتسب المذاق الإيرانى الجميل بما فيه من سحر وخيال وأنغام وأحلام، وتذكرنا بالسندباد، وألف ليلة وليلة، وعلاء الدين صاحب المصباح السحرى، التى انطلقت من داخل المنطقة الثقافية والأدبية الإيرانية قبل الإسلام وبعده، ولا تزال نشعر بهذا المذاق الساحر الخيالى فى بعض أعمالنا الروائية والسينمائية المعاصرة.